سلسلة دراسات في السيرة النبوية

٢

قل: هو من عند أنفسكم

تأليف

محمد سرور بن نايف زين العابدين

دار الأرقم

برمنجهام - بريطانيا

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدّمـــــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فكنت قد وعدت القرّاء أن يكون ما أكتبه في السيرة على شكل موضوعات متكاملة، وأن أجمع في هذه الموضوعات بين صحة الرواية وحسن ربطها بواقع عصرنا، واستخراج الحلول المناسبة للمشكلات التي تواجهنا، واخترت أن يكون الموضوع الأول في هذه الدراسة قوله تعالى: (قل هو من عند أنفسكم)، وقسّمت الموضوعات إلى المباحث التالية:

- المبحث الأول: دراسة نوعية لغزوة أُحُد، وهي أول غزوة يتعرّض فيها المسلمون لمصيبة، وينهزمون بعد أن كانت الدائرة لهم في بداية المعركة، وتساءل الصحابة رضوان الله عليهم عن أسباب هذه الهزيمة، فأنزل الله قوله تعالى: (قل هو من عند أنفسكم)، ولا يزال قوله تعالى: (قل هو من عند أنفسكم) جوابًا حاسمًا للمشكلات التي نواجهها.

– المبحث الثاني: سنن الله في خلقه، ومن أهمها سنن الله في النصر، مع التأكيد على أن الأمة لا تنتصر على عدوّها إلا إذا أخذت بهذه السُنن.

– المبحث الثالث: تحدّثتُ فيه عن جهاد المسلمين الأفغان كمثال تطبيقي على ما ذكرته في هذا الكتاب.

ومن الجدير بالذكر أن المبحث الثاني والثالث نُشرا على شكل حلقات، وقد استفدت من تحقيق كبار العلماء في القديم والحديث لمرويات السيرة، فجزاهم الله كلّ خير وأجزل مثوبتهم، وأرجو أن يلي هذا الموضوع موضوعات أخرى، والله الهادي إلى سواء السبيل.

برمنجهام

١٧ رمضان ١٤١٢ هـ

المبحث الأول

غزوة أُحُد

الوضع العام قبل غزوة أُحُد

أظهر الله المسلمين على عدوّهم يوم بدر، وانتشرت أخبار هذا الانتصار الساحق في كلّ مكان من جزيرة العرب، وأصبح محمد رسول الله ﷺ والذين آمنوا معه قوة يحسب لها العدو ألف حساب، ودخل كثير من أهل المدينة وما حولها في دين الله أفواجًا، مع أن كثيرًا منهم كان يبطن النفاق.

ومن طبائع الأمم والشعوب أن تزهو بانتصاراتها إذا كان العدد متكافئًا، فكيف إذا كان عدد المنهزمين ثلاثة أمثال عدد المنتصرين؟!، وإذا تكررت الغلبة يظن المنتصر أن قوى الأرض كلّها لن تقف في وجهه، ولن تفتّ في عضده، وقد يضعف في مصل هذه الأحوال اعتماده على الله سبحانه وتعالى، يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: "إن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانًا وركونًا إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار الآخرة، فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها كرامته؛ قيّض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواءً لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب

يسقي العليل الدواء الكريه، ويقطع من العروق المؤلمة لاستخراج الأدواء منه، ولو تركه لغلبته الأدواء حتى يكون فيها هلاكه" (١).

لهذا أراد الله جلّ وعلا أن يعلّم عباده المؤمنين بأنه ناصرهم ولا ناصر لهم غيره، قال جلّ من قائل:﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران/ ١٢٣]. وقال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:١٧].

وقال: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:٢٦].

والله جلّ وعلا الذي نصركم وأنتم أذلة، وأعزّكم بعد ضعف، ورزقكم من الطيّبات قد يبتليكم ليميز الخبيث من الطيب والغثّ من السمين، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٩].

فالحياة ليست كلّها نصر، والدهر يوم لكم ويوم عليكم، والأيام دول بين الناس.

---

(١) زاد المعاد: ٣/ ٢٢١.

ولقد أرعب النصر المبين الذي أحرزه المسلمون يوم بدر قوى الكفر في جزيرة العرب، ودفعهم إلى توحيد جهودهم ضد المسلمين في المدينة، وكان اليهود نواة هذا الحلف الدنس، والشرارة التي أشعلت حروبًا متتاليةً وخطيرةً، وهم الذين سعوا في وقت مبكر –بعد بدر– إلى تأليب أهل مكة على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، وكانوا يعلمون أن العربي قد فطر على الأخذ بالثأر، وأن المشركين من أهل مكة لا بد أن يضرموا نيران حرب أخرى.

وما كان كعب بن الأشرف أول يهودي يتصل بأهل مكة، ويحرّضهم ضدّ المسلمين، وكان شديد الأذى لرسول الله ﷺ، وكان يشبّب في أشعاره بنساء الصحابة، فانتدب رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة ومعه جماعة من المسلمين لقتله، فقتله وأراح المسلمين من شرّه [1].

ثم غزا رسول الله ﷺ يهود بني قينقاع لأنهم نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، واعتدوا على امرأة من العرب، فعمد صائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا منها، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديًا، وشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فوقع الشرّ، وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسة عشر ليلةً حتى نزلوا على حكمه، فشفع فيهم عبد الله بن أُبيّ –شيخ

(١) انظر البخاري، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، ومسلم، كتاب الجهاد، باب قتل كعب بن الأشرف، وكتب السيرة النبوية.

المنافقين-، وما زال يصرّ على رسول الله ﷺ فأطلقهم، وأمر بإخراجهم من المدينة وكانوا سبعمائة مقاتل.

أما مع غير اليهود فكانت هناك غزوات منها: غزوة بني سليم -من قبائل غطفان-، كانوا يحشدون قواتهم لغزو المدينة فباغتهم النبي في عقر ﷺ دارهم -أي في موضع يقال له الكُدر-، ففرّ العدو، وأقام رسول الله ﷺ في ديارهم ثلاثة أيام ثم رجع إلى المدينة، وكانت هذه الغزوة في شهر شوال أي بعد بدر بأيام قليلة.

ومنها غزوة السويق: حاول أبو سفيان بعد بدر بشهرين غزو المدينة، ودخل بعض أطرافها، فسارع رسول الله ﷺ لمطاردة أبي سفيان وأصحابه ففرّوا مذعورين، وحمل المسلمون ما طرحه الكفار من سويقهم، فسمّيت الغزوة بهذا الاسم، وكانت بعد بدر بشهرين.

ومنها غزوة ذي أمر: وهي أكبر حملة عسكرية قادها رسول الله ﷺ قبل معركة أُحُد، وسببها أن جمعًا كبيرًا من بني ثعلبة ومحارب تجمّعوا يريدون الإغارة على أطراف المدينة، فخرج رسول الله ﷺ إلى مكان تجمّعهم -وهو الماء المُسمّى بذي أمر- فأقام في نجد شهرًا ثم رجع إلى المدينة.

ومنها غزوة بحران: بلغ رسول الله ﷺ أن بني سليم يحشدون قبائل كبيرةً لغزو المدينة، فخرج ﷺ في دورية قوامها ثلاثمائة مقاتل، فتفرّق بنو سليم في الجبال ولم يثبتوا للقاء، فأقام ﷺ في ديارهم شهرين ثم عاد إلى المدينة.

ومنها سارية زيد بن حارثة: بلغ رسول الله ﷺ أن عير قريش يقودها صفوان بن أمية، فسلكوا طريق العراق في رحلتهم إلى الشام، فجهّز رسول الله ﷺ حملةً يقودها زيد بن حارثة، فأسرع زيد لملاقاتهم حتى دهم القافلة بغتةً، ففرّ صفوان ومن معه من حرس القافلة، واستولى زيد بن حارثة على القافلة كلّها، فكانت هذه الغزوة من أهم أسباب معركة أُحُد [١].

وخلاصة القول: فلقد واجه رسول الله ﷺ وأصحابه اليهود والمشركين والأعراب الذين يقطنون حول المدينة، وكانت غزوة بدر بداية جهاد طويل، وفاتحة غزوات ومعارك متلاحقة، وكان ﷺ يعلم أنه لا بد من الأخذ بكافة أسباب النصر، وكان له عيون في مكة وغيرها يوافونه بأدق أخبار العدو، ولهذا كان يباغت القوم في معظم هذه الغزوات، والمباغتة بحدّ ذاتها سبب مهم من أسباب النصر.

(١) الروض الأُنُف، للسهيلي: ٥/ ٢٨٨.

سير المعركة

القوى المعادية:

١- **مشركو قريش:** اجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ ، وخرجت بحدّها [١] وجَدّها [٢] ، وحديدها وأحابيشها [٣]، ومن تابعها من بني كنانة، وأهل تهامة، وخرجوا معهم بالظُّعن [٤] التماس الحفيظة، وألا يفرّوا، فخرج أبو سفيان بن حرب، وهو قائد الناس، بهند بنت عتبة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وخرج صفوان بن أمية. وقد اكتفينا بذكر هذه الأسماء من نساء المشركين [٥].

وبلغ عدد المشركين ثلاثة آلاف مقاتل، منهم سبعمائة راكب دارع، ومائتا فارس، وثلاثة آلاف بعير، وكان خروجهم في شوال من السنة الثالثة للهجرة.

---

(١) حدّ الشي: منتهاه.

(٢) الجدّ: الغنى، أو الكبرياء والعظمة، وقد ورد هذان المعنيان في قوله تعالى: (وأنه تعالى جدّ ربنا).

(٣) وأحابيشها: من اجتمع إلى العرب، وانضم إليهم من غيرهم.

(٤) الظُّعن: النساء في الهودج.

(٥) أما الأموال التي رصدها المشركون لغزوة أُحُد فكانت أموال العير التي نجا بها أبو سفيان. قال تعالى: (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) [الأنفال:٣٦].

٢- المنافقون: خرج رسول الله ﷺ في ألف من الصحابة، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقي في المدينة، فلمّا صار بالشوط بين المدينة وأُحُد، انخزل عبد الله بن أُبيّ بنحو ثلث العسكر، وقال: تخالفني وتسمع من غيري، فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، والد جابر بن عبد الله يوبّخهم ويحضّهم على الرجوع، ويقول: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا. قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون، لم نرجع. فرجع عنهم، وسبّهم، وسألهم قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من يهود، فأبى وسلك حرّة بني حارثة، وقال: "من رجل يخرج بنا على القوم من كثب؟" فخرج به بعض الأنصار حتى سلك في حائط لبعض المنافقين، وكان أعمى، فقام يحثو التراب في وجوه المسلمين ويقول: لا أُحلّ لك أن تدخل في حائطي إن كنت رسول الله، فابتدره القوم ليقتلوه، فقال: لا تقتلوه فهذا أعمى القلب أعمى البصر" (١).

والمنافقون ما خرجوا مع رسول الله ﷺ يريدون الجهاد والموت في سبيل الله، ولم يكن الأمر كما زعم عبد الله بن أُبيّ، وإنما كان قد أعدّ خطّةً خبيثةً بالاشتراك مع اليهود، وأحبط رسول الله ﷺ هذه الخطّة عندما رفض الاستعانة باليهود، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧].

---

(١) زاد المعاد: ٣/ ١٩٣.

وموقفهم لا يقلّ خطورةً عن موقف المشركين، لولا أن الله جلّ وعلا ردّ كيدهم في نحورهم.

٣- اليهود: بدأت دسائس اليهود منذ وطئت قدم المهاجرين أرض المدينة، واشتدّت بعد غزوة بدر الكبرى فاتصلوا بالمشركين في مكة وبالقبائل العربية المحيطة بالمدينة، واضّطر رسول الله ﷺ إلى إصدار أمره بقتل كعب بن الأشرف، كما اضّطر إلى حصار بني قينقاع وإخراجهم من المدينة.

وكان ﷺ يعلم كلّ ما يدبّره اليهود، ولهذا رفض الاستعانة بهم في غزوة أُحُد، وخاض هذه المعركة في وقت عصيب جدًّا، فاليهود يسكنون في جنوب المدينة وغربها، ومنازل المنافقين في مختلف أحياء المدينة، والعدو يحيط بالمدينة والتنسيق قائم ومستمر بين الأعداء، من الكفار والمشركين داخل المدينة وخارجها.

ورفع اليهود رؤوسهم بعد محنة المسلمين في غزوة أُحُد، وحاول بنو النضير قتل رسول الله ﷺ عندما جاءهم يستعينهم في ديّة قتيلين من بني عامر، فجاءه الخبر من السماء فقام وخرج راجعًا إلى المدينة، ثم أصدر أمره بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ثم سار بالناس حتى نزل بهم، وحاصرهم ست ليال، ولم تنفعهم حصونهم ولا وعود المنافقين لهم، فأجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة فمنهم من سكن خيبر، منهم من سار إلى الشام، وجاء قوله تعالى ليبيّن للمسلمين ما يدبّره اليهود والمنافقون: ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: ١١-١٢].

إنهم لكاذبون في وعودهم، مخادعون في مواقفهم، جبناء إذا كان الصف الإسلامي متماسكًا، وكانت القيادة يقظةً وملتزمةً بأوامر الله، ولكنهم ليوث وغى إذا كان عدوّهم يتمسّح بالإسلام في بعض الحالات ويبطن النفاق والكفر والضلالة.

٤- **أعراب المدينة**: أهل المناطق المجاورة للمدينة، كانوا من اليهود أو من الأعراب، فاليهود كانوا يقطنون في خيبر، أما الأعراب فهم مشركون أو منافقون، قال تعالى: ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة:١٠١].

وقال تعالى: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٩٧].

وقد مرّ معنا أن رسول الله ﷺ غزا بنفسه بني سليم في جنوب المدينة، كما غزا قبائل غطفان في نجد، وكان ذلك قبل غزوة أُحُد، وبعد هذه الغزوة، حاول الأعراب الإغارة على المدينة، وظنوا أنهم قادرون على استئصال شأفة الإسلام والقضاء على دولتهم الوليدة في المدينة ومن هذه القبائل: هذيل، وبنو أسد، وبنو ثعلبة، وبنو

محارب، ولكنهم خُذلوا وانتصر رسول الله ﷺ وأصحابه على عدوّهم، واستفادوا من أخطائهم في غزوة أُحُد.

من أخبار المعركة

كان رسول الله ﷺ رأى رؤيا، وهو بالمدينة، رأى في سيفه ثُلمةً، ورأى أن بقرًا تُذبح، وأنه أدخل يده في درع حصينة، فتأوّل الثُلمة في سيفه برجل يصاب من أهل بيته، وتأوّل البقر بنفر من أصحابه يُقتلون، وتأوّل الدرع بالمدينة.

واستشار رسول الله ﷺ أصحابه أيخرج للمشركين، أم يمكث في المدينة؟ وكان رأيه ألا يخرجوا من المدينة، وأن يتحصّنوا بها، فإن دخلوها، قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقّة، والنساء من فوق البيوت، ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أُبيّ، وكان هو الرأي، فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر، وأشاروا عليه بالخروج، وألحّوا عليه في ذلك، وأشار عبد الله بن أُبيّ بالمقام في المدينة، وتابعه على ذلك بعض الصحابة، فألحّ أولئك على رسول الله ﷺ، فنهض ودخل بيته، ولبس لأمته، وقالوا: أكرهنا رسول الله ﷺ على الخروج، فقالوا: يا رسول الله! إن أحببت أن تمكث في المدينة فافعل، فقال رسول الله ﷺ: "ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه" (١).

(١) زاد المعاد: ٣/ ١٩٣.

أهمية الشورى

وصف الله المؤمنين بقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ وأمر الله نبيه ﷺ باستشارة أصحابه، فقال: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وكان ﷺ –وهو المعصوم– يكثر من استشارة أصحابه، ويأتي القرار بعد أن يقول كلّ منهم رأيه بصدق وصراحة، والاستشارة لا تعني الفوضى، فلا بد من قرار حاسم بعد استطلاع الآراء، وهذا سر قول رسول الله ﷺ : "ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه"، لقد انتهى وقت المشورة وجاء القرار الحاسم، وكان الصحابة رضوان الله عليهم مثالاً في الطاعة والاتباع والانضباط.

والشورى تكون في كلّ مسألة لا نصّ فيها، ولا مجال للشورى إذا كان هناك نصّ وكان الانصّ واضحًا، لأن أمر الله أولى بالاتباع، ولا قيمة للشورى إذا كان القائد مستبدًّا يستطلع الآراء لتسجيل موقف وليقال بأنه استشار صحبه، فالانفراد بالرأي خطير، ويجرّ إلى عواقب وخيمة على الأمة، وهو سبب ما تعانيه أمتنا اليوم من انحطاط وانهزامية، ورحم الله من قال:

رأي الجماعة لا تشقلا البلاد به رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

عودة إلى الحديث عن أخبار المعركة

ونفذ رسول الله ﷺ حتى نزل الشِعب من أُحُد، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم، وكان عدد المسلمين سبعمائةً، فيهم خمسون فارسًا، واستعمل على الرماة – وكانوا خمسين– عبد الله بن جبير، وأمره وأصحابه أن يلزموا مركزهم، وألا يفارقوه، ولو رأى الطير تتخطّف العسكر، وكانوا خلف الجيش، وأمرهم أن ينضحوا المشركين بالنبل، لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم.

وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار، فانهزم عدو الله، وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم، فلما رأى الرماة هزيمتهم، تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه، وقالوا: يا قوم الغنيمة، فذكرهم أميرهم عهد رسول الله ﷺ، فلم يسمعوا، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وأخلوا الثغر، وكرّ فرسان المشركين، فوجدوا الثغر خاليًا، قد خلا من الرماة، فجازوا منه، وتمكّنوا حتى أقبل آخرهم، فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة، وهم سبعون، وتولى الصحابة، وخلص المشركون إلى رسول الله ﷺ فجرحوا وجهه، وكسروا رباعيته اليمنى، وكانت السفلى، وهشّموا البيضة على رأسه ورموه بالحجارة حتى وقع لشقه، وسقط في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين، فأخذ عليّ بيده، واحتضنه طلحة بن عبيد الله.

وقُتل مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين، فحمل اللواء بعده علي بن أبي طالب، ولكن الفوضى دبّت في صفوف المسلمين، عندما سرت إشاعة بأن محمدًا رسول الله ﷺ قد قُتل، "فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضًا وهم لا يشعرون، وانهزم طائفة منهم إلى جهة المدينة وتفرّق سائرهم، ووقع فيهم القتل. وثبت نبي الله حتى انكشفوا عنه وهو يدعوهم إلى أُخراهم حتى رجع إليه بعضهم وهو عند المهراس في الشِعب" (١).

جاء وصف الحالة التي كان عليها المسلمون بعد الهزيمة، وثبات رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿۞إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد، فقال: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قُتلوا، فلو كانوا أحياءً لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت يا عدوّ الله، أبقى الله عليك ما يحزنك، قال أبو سفيان: أعلُ هُبل، فقال النبي ﷺ :أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل، قال أبو سفيان: لنا العزّى ولا عزّى لكم، فقال

(١) فتح الباري، ذكره ابن حجر العسقلاني في سنده عن ابن إسحاق عن شيوخه، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وأبو الأسود عن عروة: ٨/ ٣٤٨، البابي الحلبي.

النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال. وتجدون مُثلةً لم آمر بها ولم تسؤني [١].

وكان عدد الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ قليلاً، ففي رواية للإمام أحمد أنهم كانوا اثني عشر رجلاً، وفي رواية للبيهقي في الدلائل أنهم كانوا أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة بن عبيد الله، وذلك عندما صعد في الجبل، وكان أبو بكر أول من فاء إلى رسول الله ﷺ فرأى بين يديه طلحة يقاتل عنه ويحميه، وفي الصحيحين أن الملائكة قاتلت عن رسول الله ﷺ يوم أُحُد، فعن سعد بن أبي وقّاص، قالت: "رأيت رسول الله يوم أُحُد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليها ثياب بيض كأشدّ القتال، ما رأيتهما قبلُ ولا بعد" [٢].

انتهت معركة أُحُد بالانتصار الجزئي الذي أحرزه المشركون، وغادروا أرض المعركة عائدين إلى مكة، أما المسلمون فقد شُغلوا بقتلاهم، وصحّ عن النبي ﷺ أنه جمع بين الرجلين في قبر واحد، وكان يقدّم عند الدفن أكثرهم حفظًا للقرآن، وتمّ دفنهم في أرض المعركة.

---

(١) البخاري، فتح الباري: ٨/ ٣٥٥، البابي الحلبي، باب غزوة أُحُد، كتاب المغازي.

(٢) الفتح الربّاني: ٢١/ ٥٢، باب خبر موقعة أُحُد، والبداية والنهاية: ٣/ ٢٦، والبخاري في المغازي، وزاد المعاد: ٣/ ٢٠٣، تحقيق عبد القادر وشعيب الأرناؤوط.

عاد المسلمون إلى المدينة ليواجهوا إشاعات اليهود والمنافقين، وقولهم: لولا خروجكم وقتالكم لما مات من مات منكم، فجاء الردّ عليهم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

وفي وقت ظنّ اليهود والمنافقون أن المسلمين لن تقوم لهم قائمةً، أذّن مؤذّن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وأذّن مؤذّنه ألا يخرجنّ أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، وخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال، فأقام بها ثلاثة أيام، وكان المشركون يتدارسون فيما بينهم مسألة العودة إلى حرب المسلمين في المدينة لاستئصال بقيتهم. فلما جاءهم خبر خروج المسلمين وراءهم قذف الله في قلوبهم الرعب، وخارت عزائمهم وولوا مدبرين نحو مكة، وأخزى الله المنافقين واليهود، وتبيّن لهم أن المسلمين أقوى مما يظنون، وأشار القرآن الكريم إلى هذه الحادثة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

بطـولات نـادرة

١- **مصعب بن عمير**: عن خبّاب بن الأرت رضي الله عنه قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، ومنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئًا، كان منهم: مصعب بن عمير قُتل يوم أُحُد لم يترك إلا نمِرةً، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غُطي بها رجلاه خرج رأسه. فقال لنا النبي ﷺ: غطّوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الإِذخِر، أو قال: ألقوا على رجله من الإذخر، ومنا من قد أينعت له ثمرته فهو يهدبها.

- نَمِرة: كساء فيه خطوط بيض وسود تلبسه الأعراب والجمع نمار.

- الإِذخِر: بكسر الهمزة والخاء نبات معروف زكي الرائحة وإذا جفّ ابيّض.

- يهدبها: يجتنيها وهو إشارة إلى ما فتح الله عليهم من الدنيا بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وعن سعد بن إبراهيم: أن عبد الرحمن بن عوف أُتي بطعام وكان صائمًا فقال: قُتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كُفّن في بردة إن غُطي رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا رأسه وأراه قال وقُتل حمزة وهو خير مني ثم بُسط لنا من الدنيا ما

بُسط أو قال أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجّلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام (١).

ومصعب بن عمير الذي لم يجد المسلمون له كفنًا يوارون به جسده عند استشهاده يوم أُحُد كان له أم مليئة كثيرة المال، وكانت تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقّه، وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول: "ما رأيت بمكة أحسن لمّةً، ولا أرقّ حلّةً، ولا أنعم نعمةً من مصعب بن عمير"، أسلم والرسول ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكتم إسلامه خوفًا من أمه وقومه.

حبسه قومه عندما علموا بإسلامه، ولم يزل محبوسًا حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، ثم اختاره رسول الله ﷺ بعد بيعة العقبة الأولى ليكون سفيره في المدينة وليفقّه الأنصار، وخرج من المدينة مع السبعين الذين وافوا رسول الله ﷺ في العقبة الثانية.

وهذا الفتى الثري المترف في جاهليته هو البطل الذي حمل اللواء في أُحُد، وراية رسول الله ﷺ لا يحملها إلا بطل مقدام. وعندما ضرب المشرك ابن قميئة يد مصعب

---

(١) حديث خباب بن الأرت، وعبد الرحمن بن ع، وردا في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أُحُد، فتح الباري ٨/ ٣٥٦. لمة الشعر: كما نقول اليوم: تسريحة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (لمم).

اليمنى أخذ اللواء بيده اليسرى ، وحنا عليه، وعندما ضرب عدو الله يده اليسرى فقطعها، حنا على اللواء بعُضديه إلى صدره [١].

٢- **أنس بن النضر**: عن أنس بن مالك : عمي الذي سُميت به ، لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا ، فشق عليه، قال : أول مشهد شهده رسول الله ﷺ وغُيّبت عنه ، وإن أراني الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع . قال : فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد ، قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس يا أبا عمرو ، أين؟ فقال: واهًا لريح الجنة أجده دون أُحُد ، قال : فقاتلهم حتى قُتل قال : فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية ، فقالت أخته - عمتي الربيع بنت النضر - : فما عرفت أخي إلا ببنانه . قال : فنزلت هذه الآية : ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾.

١- البنان: الأصابع، واحدها: بنانة. واهًا لريح الجنة أجده دون أُحُد: كلمة تحنن وتلهف، والقول محمول على ظاهره، وأن الله تعالى أوجد ريحها من موضع المعركة وقد ثبتت الأحاديث أن ريحها توجد من مسيرة خمسمائة عام [مسلم بشرح النووي].

والحديث رواه البخاري في المغازي، باب غزوة أُحُد، ومسلم في الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، والترمذي في التفسير.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر، ٣/ ١١٦.

٣- **أبو طلحة**: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لما كان يوم أُحُد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مجوّب عليه بحجفة ، وكان أبو طلحة رجلاً راميًا ، شديد النزع ، لقد كسر يومئذ قوسين ، أو ثلاثةً ، وكان الرجل يمر معه الجُعبة من النبل ، فيقول : انشرها لأبي طلحة ، قال : ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك، ولقد رأيت عائشة وأم سليم ، وإنهما لمشمرتان ، أرى خدم سوقهما ، تنقلان القِرب على متونهما ، ثم تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنهما، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم ، ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة : إما مرتين ، وإما ثلاثا ، [من النعاس] "اهـ.

شرح الغريب: مجوِّب عليه: أي ساتر له، وهو من الجوْب: القطع.

شديد النزع: النزع: مدّ القوس: وشدّته كناية عن استيفاء السهم جميعه في جذبه.

يشرف: الإشراف: الإطلاع على الشيء.

خدم سوقها: الخدمة: الخلخال، وهو سير غليظ يُشدّ في رسغ البعير.

وحديث أبي طلحة رواه البخاري في المغازي وفي الجهاد، ومسلم في الجهاد، باب غزو النساء مع الرجال.

٤- **عمرو بن الجموح**: وكان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بنين شباب، يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا، فلما توجّه إلى أُحُد، أراد أن يتوجّه معه، فقال له بنوه: إن الله قد جعل لك رخصةً، فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد، فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن بنيَّ هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك، ووالله لأرجو أن أُستشهد فأطأ بعرجتي هذه الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: "أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد" وقال لبنيه: "وما عليكم أن تدعوه، لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة"، فخرج مع رسول الله ﷺ فقُتل يوم أُحُد شهيدًا [١].

وبعد: هذه بعض الأمثلة على بطولات الصحابة رضوان الله عليهم، ولولا الإطالة لذكرنا أمثلةً أخرى، وغزوة أُحُد لا تُذكر دون أن يُذكر حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، ودور علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وأبي بكر الصدّيق وغيرهم وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه ابن هشام عن ابن إسحاق، والسند رجاله ثقات، وأخرجه أحمد و سنده حسن كما قال الحافظ في الفتح [عن هامش زاد المعاد تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ٣/ ٢٠٩].

آيات قرآنية تتحدّث عن غزوة أُحُد

ورد الحديث عن أخبار غزوة أُحُد في ستين آية من سورة آل عمران ابتداءً من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الآية ١٢١ إلى قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الآية ١٧٩.

وقد استشهدنا ببعض هذه الآيات في مواضع متفرّقة من هذا البحث، واخترنا آية ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ فجعلناها عنوانًا لكتابنا هذا، وسنقدّم فيما يلي دراسة عامّة لهذه الآيات:

١- **النصر من عند الله**: فهو الذي نصركم ببدر وأنتم أذلة، وهو الذي أمدكم بالملائكة مسوّمين، وهو الذي أمركم أن تتكلوا عليه وحده وليس على قوتكم أو على الملائكة، وهو القائل: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] . وهو القائل: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

٢- **لا بد من الابتلاء**: قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. وقال:﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]. وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

وقال: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. وقال: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٦]. وقال: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

قال ابن القيم رحمه الله: "إن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم، جرت بأن يُدالوا مرةً، ويُدال عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة، فإنهم لو انتصروا دائمًا، دخل معهم المؤمنون وغيرهم، ولم يتميّز الصادق من غيره، ولو انتُصر عليهم دائمًا، لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليتميّز من يتبعهم ويطيعهم للحق، وما جاءوا به؛ ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة. وهذا من أعلام الرسل، كما قال هرقل لأبي سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: سجال، يُدال علينا المرة، وندال عليه الأخرى. قال: كذلك الرسل تُبتلى، ثم تكون لهم العاقبة [1]. وأنه سبحانه لو نصرهم دائمًا، وأظفرهم بعدوهم في كل موطن، وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبدًا، لطغت نفوسهم، وشمخت وارتفعت ، فلو بُسط لهم النصر والظفر، لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بُسط لهم الرزق، فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء، والشدّة

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان.

والرخاء، والقبض والبسط، فهو المدبّر لأمر عباده كما يليق بحكمته، إنه بهم خبير بصير [١].

٣- إن الذين يستحقّون نصر الله وتمكينه لا بد أن تتوفر فيهم صفات معينة:

منها: أن يكونوا من المؤمنين، ولقد تكرّر قوله في هذه الآيات: (يا أيها الذين آمنوا)، وقوله: :﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وإن من غايات الجهاد أن يصل المسلم إلى مرتبة الإحسان، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

ومنها: التقوى: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وقال: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾، وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وقال: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

ومنها: الشكر: قال تعالى: ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، وقال:﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

---

(١) زاد المعاد: ٣/ ٢١٩.

ومنها: التوكل: قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

ومنها: الصبر: قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

ومنها: لا يصرّون على ذنوبهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وهؤلاء المؤمنون المجاهدون المتقون المتوكّلون الصابرون يعتقدون:

- أن الموت والحياة بيد الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ ﴾.

- أن الله عليم بذات الصدور، وأنه غفور رحيم، وأن إليه يحشرون، وأنه بصير بما يعملون، وأنه أعلم بما يكتمون.

- أن الله على كل شيء قدير، وأن الأمر كله إليه جل وعلا، قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ ﴾ ، فاعتمدوا عليه وحده، ولا تخشوا كثرة أعدائكم، ولا شدّة بأسهم.

لقد استغرق الحديث عن صفات المجاهدين الذين يستحقون نصر الله أكثر من نصف الآيات التي تحدّثت عن غزوة أُحُد، وهذا دليل قوي على أهمية هذه الصفات، وشدّة الحاجة إليها، ودليل أيضًا على أنها شرط أساسي من شروط النصر والتمكين.

ولن ينتصر المسلمون على عدوّهم إذا كان القتال من أجل الحكم والزعامة وطلب الرئاسة لأن مثل هذه المطالب تتعارض مع أوامر الله جلّ وعلا التي تكررت في هذه الآيات ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ١٧٠﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٠].

وقوله تعالى:﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

فنحن أمام رجال يتمنّون الموت، ويسارعون من أجل الشهادة في سبيل الله، وطلاّب الرئاسة يتمنّون الحياة والخلود في هذه الدنيا، وإذا اضطروا إلى خوض معارك مع خصومهم دفعوا جندهم إلى ساحات الوغى، وقبعوا في الأقبية والدهاليز حتى لا تصلهم آثار هذه الحرب.

٤- ولا تأكلوا الربا: قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٣٠-١٣٢].

كان المدين في الجاهلية إذا حلّ الأجل يقول للدائن: أخرّ عني دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك، فذلك هو الربا أضعافًا مضاعفةً، فنهاهم الله عز وجل في إسلامهم عنه.

ولسائل أن يسأل هنا: لماذا جاءت آية الربا في هذا الموضع من آيات أُحُد وما علاقة الربا بالجهاد؟!

والجواب على ذلك من وجهين:

الوجه الأول: ما رواه أبو داود عن أبي هريرة أن عمرو بن أُقيش رضي الله عنه كان له ربًا في الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه فجاء يوم أُحُد، فقال: أين بنو عمي؟ قالوا: بأُحُد.قال: أين فلان؟ قالوا: بأُحُد. قال: فأين فلان؟ قالوا: بأُحُد، فلبس لأمته، وركب فرسه، ثم توجّه قبلهم، فلما رآه المسلمون، قالوا: إليك عنا يا عمرو! قال: قد آمنت، فقاتل حتى جُرح، فحُمل إلى أهله جريحًا، فجاءه سعد بن معاذ رضي الله عنه، فقال لأخته: سليه: حميةً لقومك وغضبًا لهم أم غضبًا لله عز وجل. فقال: بل غضبًا لله عز وجل ورسوله ﷺ ، فمات، فدخل الجنة وما صلى لله عز وجل صلاةً.

قال الدينوري: وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: حدّثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط! فيسكت الناس، فيقول أبو هريرة: هو أخو بني عبد الأشهل.

وعند ابن إسحاق: فذُكر لرسول الله ﷺ فقال: إنه لمن أهل الجنة. هذا ملخص ما أورده البقاعي رحمه الله تعالى .

الوجه الثاني: أن الغاية من الجهاد أن يكون الدين كله لله في الأرض، والمجاهد الذي يخشى نار جهنم، ويطمع بالجنة وما يقرب إليها من قول أو عمل لا يمكن أن يكون من الذين يأكلون الربا أضعافًا مضاعفةً لأنه بلغ مرتبة الإحسان، ومن بلغ هذه المرتبة ينفق في السراء والضراء، ويعطف على إخوانه المسلمين، ولا يستغل حاجتهم، ويثري على حسابهم.

والربا من أكبر الكبائر، وهو حرام بكافة أشكاله وأنواعه، وقد توعد الله آكل الربا سواء كان ما يأكله ٥٪ أو أضعافًا مضاعفةً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ٢٧٩ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ٢٨٠﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٨٠].

هذه هي أحداث غزوة أُحُد، توخيّنا الاختصار في عرضها، وأرجو أن يُتاح لي تقديم دراسة لآيات أُخر من الآيات التي تحدّثت عن هذه الغزوة، وأسأل الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه.

المبحث الثاني

قل هو من عند أنفسكم

قل هو من عند أنفسكم

انهزم المسلمون في غزوة أحد، وقتل سبعون من صناديدهم، من بينهم: حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وأنس بن النضر، وسعد بن الربيع، وعمرو بن الجموح رضي الله عنهم أجمعين.

وخلص المشركون إلى رسول الله ﷺ فجرحوا وجهه الكريم، وكسروا رباعيته اليمنى ورموه بالحجارة حتى وقع لشقه، وسقط في حفرة من الحفر.

وتساءل المسلمون بعد المعركة عن سبب هذه الهزيمة التي لحقت بهم، فجاءهم الجواب من رب العزة، وما يأتي من الله فلا ينبغي أن يتقدم عليه قول أو رأي. قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٦٥].

- ((قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا)): يعني يوم بدر فإنهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلاً، وأسروا سبعين أسيراً.

- ((قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ)): لأنكم خالفتم أوامر قائدكم المعصوم ﷺ الذي قال للرماة: إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، وأمرهم أن ينضحوا المشركين بالنبل، لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم، وبعد أن انتصر المسلمون في بداية المعركة تنازع الرماة، فقال بعضهم لا نترك أمر رسول الله ﷺ وذهب عامتهم في طلب الغنيمة، وأخلوا الثغر فلما رأى خالد بن الوليد - وكان مشركاً - قلة الرماة

بطش بهم واحتل موقعهم فتغير وجه المعركة، وتحول النصر إلى هزيمة لأن طاعة القيادة شرط مهم من شروط النصر والتمكين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٥٢]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٥٥].

هناك أعذار كثيرة كان من الممكن ذكرها:

منها: أن عدد جيش المشركين أكثر من ثلاثة أضعاف عدد الجيش الإسلامي.

ومنها: أن عبد الله بن أبي ابن سلول انسحب في الطريق - وفي أحرج الظروف- بثلث الجيش محتجاً على رسول الله ﷺ لأنه عصاه، وأطاع غيره.. وعندما قال لهم عبد الله بن حرام: (يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا نبيكم وقومكم. قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكن لا نرى أن يكون قتال).

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران:١٦٧].

ومنها: غربة المسلمين بين اليهود والمنافقين في المدينة من جهة، وبين المشركين في مكة والجزيرة كلها، وكان هؤلاء جميعاً يتآمرون على المسلمين المحاصرين في المدينة.

ليست هذه هي أسباب الهزيمة رغم أهميتها، وذلك لأن تفاوت العدد وبمثل هذه النسبة كان في معركة بدر الكبرى التي انتصر المسلمون فيها انتصاراً سجلّه التاريخ بأحرف من نور.

والقيادة الإسلامية – ممثلة برسول الله ﷺ ، والذين كان يكثر من استشارتهم من السابقين الأولين – كانت تعلم أحوال المنافقين، ولم تفاجأ بانسحابهم قبل بدء المعركة، كما أنها كانت تعلم أخلاق اليهود وحقدهم واتصالاتهم مع المشركين في مكة... وإذن فمخططات القيادة الإسلامية كانت دقيقةً، ولم يكن شيخ المنافقين – عبد الله بن أُبيّ – عندها علماً شامخاً من أعلام الإسلام، ثم تبيّن أنه قائد أهل النفاق والريب، وما كان اليهود عندها أهل عهد وفضل ومروءة ثم اتضح تواطؤهم مع أعداء الله بعد المعركة.. معاذ الله أن تقع قيادة رسول الله ﷺ بمثل هذه الأخطاء.

إن سبب الهزيمة واحد لا ينبغي تجاهله ولا طمسه بالأعذار والمسوغات الواهية: ((قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ)) فأنتم أيها المسلمون الذين تنازعتم.. وأنتم الذين عصيتم أمر رسولكم ﷺ ، فالسبب داخلي وليس خارجياً، فلا تلوموا الناس ولكن لوموا أنفسكم، واللفظ هنا ورد بصيغة العموم مع أن الذين خالفوا أمر رسول الله ﷺ هم معظم الرماة، والرماة كلهم كانوا خمسين رجلاً، والعبرة هنا بالنتائج فهذه المخالفة كانت سبباً في هزيمة الجيش كله، وجندي واحد قد يقود جيشه إلى هزيمة إذا كان يرابط في ثغر خطير وخالف أوامر قيادته أو كان عيناً للعدو فدلّهم على مواطن الضعف... والجيش الإسلامي أو الجماعة المسلمة يجب أن تكون كالبنيان

المرصوص، ولا تسمح للمنافقين أو الخائنين أن يتسللوا إلى صفها بله إلى قيادتها.

ولقد عفا الله عن أهل أُحُد لأن فرارهم لم يكن عن نفاق أو خيانة، وإنما كان عارضاً، فهم بشر وقد مرت بهم فترة من فترات الضعف البشري، فعاقبهم جل وعلا بمعصيتهم في عاجل الدنيا. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٥٢].

وبعد أُحُد انتصر المسلمون في مواطن كثيرة.. انتصروا في قريظة، والنضير، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة، وأصبح النصر حليفهم وقدرهم في كل معركة، وهذا بحد ذاته ابتلاء لهم، فمن الناس من يغريه النصر فيضعف اعتماده وتوكله على الله جل وعلا، ومنهم من تتضاعف ثقته وإيمانه بالله، والقدوة الحسنة في ذلك كله كان رسول الله ﷺ.

وجاء يوم حنين بعد أيام من الانتصار الكاسح الذي أحرزه المسلمون يوم فتح مكة، وبعد أن أصبحوا قوةً عزيزةً لا قبل للجزيرة بمثلها... فكان هذا اليوم كيوم أُحُد من بعض الوجوه.

بلغ رسول الله ﷺ أن هوازن وثقيف قد جمعوا له، وأنهم قاصدون مكة، فخرج ﷺ إليهم في اثني عشر ألفاً من المسلمين: عشرة آلاف الذين صحبوه من المدينة، وألفان من الذين أسلموا بعد فتح مكة.

وعندما رأى بعض المسلمين هذا العدد الكبير من الجيش قالوا: «لن نُغلب اليوم من قلة» والنصر من عند الله وحده، ومن ينصره فلا غالب له، ومن يخذله فلا ناصر له، وليس النصر بالكثرة أو القلة.

نزل المسلمون وادي حنين - وهو موضع بين مكة والطائف - وكانت هوازن قد كمنت في جانبيه، فحملوا على المسلمين حملة رجل واحد، فولى المسلمون لا يلوي أحد على أحد، وظن بعض الطلقاء أنه لا نصر بعد هذه الهزيمة، وكانوا حديثي عهد بالإسلام.

انهزم المسلمون أما رسول الله ﷺ فلم ينهزم، وهذا شأنه في جميع غزواته، وثبت معه نفر قليل منهم: أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم، وأمر ﷺ عمه العباس - وكان جهير الصوت - أن ينادي: يا معشر الأنصار، يا أصحاب البيعة يوم الحديبية.. فلما سمعوا الصوت، صدّهم ازدحام الناس عن أن يثنوا رواحلهم، فتناولوا أسلحتهم، واقتحموا عن الرواحل راجعين إلى النبي ﷺ، وقد اجتمع منهم حواليه نحو المائة، فاستقبلوا هوازن، والناس متلاحقين، وعندما حمي وطيس المعركة، قذف الله في قلوب هوازن الرعب، فانهزموا شر هزيمة. قال تعالى:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٦﴾ [التوبة:٢٥-٢٦].

إن سبب الهزيمة في بداية معركة حنين اعتماد بعض المسلمين على كثرتهم، والنصر من الله وحده، وليس منوطًا بالكثرة أو القلة.. ومن جهة أخرى فقد كان جيش المسلمين خليطًا من الطلقاء والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وليست نوايا وغايات هؤلاء كأولئك، ولهذا فقد أمر رسول الله ﷺ عمه العباس أن ينادي الأنصار وأصحاب البيعة، ولم يأمره أن ينادي عامة المسلمين.. وإذن فسبب الهزيمة من المسلمين أنفسهم وليس من عدوهم أو من أي جهة أخرى: (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ).

سنن الله في خلقه

إن الله سبحانه وتعالى سننًا ثابتةً في خلقه، من تمسك بها فقد فاز فوزًا عظيمًا، ومن أعرض عنها فقد ضل وأضل، قال تعالى مبينًا سنته في المكذّبين:﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[آل عمران:١٣٧].

وقال:﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٦٢].

وسنذكر من هذه السنن ما يتعلق بموضوع هذا البحث:

محاسبة النفس:

إذا انهزم المسلمون في ميادين الجهاد أو الدعوة، فعليهم أن يتهموا أنفسهم، ويقوموا مسيرتهم، ويزنوا أعمالهم بميزان الحق، وقد مرّ معنا أن الله جل وعلا أخبر المسلمين أن سبب الهزيمة في غزوة أحد أنفسهم: (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ)، وهو السبب نفسه يوم حنين.

ومن سنن الله أنه لا يسلب قومًا نعمه التي أنعم بها عليهم إلا إذا غيّروا ما منّ به عليهم من إيمان وهداية وخير. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣].

إن هذه الآية تصور لنا تاريخ أمتنا الإسلامية أروع تصوير، فسلفنا الصالح تمسكوا بنعم الله عليهم، وأهم هذه النعم: العقيدة الصحيحة، والأخلاق الفاضلة،

ونبذوا الفرقة والاختلاف، وأخذوا بكافة الأسباب الشرعية التي جعلتهم خير أمة أخرجت للناس.. فاستحقوا بذلك نصر الله، وتمكينه لهم في الأرض، ودانت لهم الأمم والشعوب.

ثم جاء من بعدهم أقوام استبدلوا ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه بعقائد ومذاهب هجينة بعاداتها وتقاليدها وأخلاقها، وتفرقوا شيعًا وأحزابًا، ورفعوا رايات جاهلية.. فأذلهم الله، وسلّط عليهم حثالة الأمم فاستباحوا بيضتهم، ونهبوا خيراتهم، ومسخوا عقول أبنائهم، وأصبحوا غثاء كغثاء السيل.

وإذا أراد المسلمون الخير والوحدة والتمكين، فعليهم أن يتخلّقوا بأخلاق سلف هذه الأمة، ويبدأوا بتغيير أنفسهم.. ومن يعجز عن تغيير نفسه، فلن يغيّر أسرته فضلاً عن أن يغيّر أمته.

ومن ثم فهذه الآية وردت بين آيتين تحدثتا عن آل فرعون ومن سبقهم من الأمم والشعوب الذين كفروا بالله، وكذّبوا آياته، وكثر بينهم الظلم والذنوب، فأهلكهم الله، فاعتبروا يا أولي الأبصار والأفئدة، واحذروا من بأس الله وجبروته.

واعلموا أن التغيير يبدأ من الأنفس، ولن يكون بكثرة الأنصار، وقوة الإعلام، وضجيج المصفقين، وامتلاء الساحات والشوارع بالجموع الغفيرة التي تشق هتافاتها الحناجر.

ولقد كان قادة أمتنا – الذين أعزّ الله بهم دينه – إذا تأخر عليهم فتح مصر من الأمصار، جمعوا جندهم ووجهوا إليهم سؤالين لا ثالث لهما:

– ما هي السنن التي قصّرتم في تطبيقها؟!

– ما هي المعصية التي ارتكبها الجند؟!

وإذن: كانوا يحاسبون أنفسهم، وكانوا يخشون من انتشار المعاصي بينهم، وكان القائد أسوةً حسنةً لجنده في طاعة الله وخشيته.

أما نحن اليوم فنقرأ الآية الآنفة الذكر، ونقرأ آيات أخرى شبيهة بها ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١].

وقوله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس:٤٤].

ومع ذلك فلا تخالط هذه الآيات العظيمة شغاف قلوبنا، ونتهم الشرق والغرب، ولا نتهم أنفسنا، ونحاسب غيرنا حسابًا ليس فيه شفقة ولا رحمة ولا نحاسب أنفسنا، ورحم الله من قال:

نعيب زماننا والعيب فينـــا ... وما لزماننا عيـب ســوانا

وكم نشكو الزمان بغير عذر ... ولو نطق الزمان إذًا هجانا

وإذا كان ضرب الأمثلة يسهّل فهم المسألة، فسوف أشير إلى بعض ما حدث قبل وبعد هزيمة ١٩٦٧، وقادة هذه الهزيمة هم الذين قادوا انقلابات عسكرية من أجل تحرير فلسطين – وهكذا زعموا وهكذا كانت تردد أجهزة إعلامهم –.

قال هؤلاء قبل بدء المعركة بأيام:

– سنجعل اليهود طعامًا لحيتان البحر الأبيض المتوسط.

– نحن قادرون على ضرب الرجعية – وذكروا اسم أكثر من بلد عربي – وإسرائيل في وقت واحد.

– لقد أعددنا لكل شيء عدته، وخلال ساعات سيكون جندنا في تل أبيب.

– سندمّر الأسطول الأمريكي، ونلقن الأميركان درسًا لا يُنسى.

وقالوا بعد الهزيمة:

– كنا نعتقد أن العدو سيقصفنا بطائراته من الغرب فجاءنا القصف من الشرق.

– فوجئنا باستخدام العدو لأسلحة لا نعرف عنها شيئًا، وهذه آخر تسمية للهزيمة الشنعاء – الانتقال من خط الدفاع الأول إلى الثاني فالثالث وهكذا –.

– ظننا أننا سنحارب إسرائيل وحدها، ثم وجدنا أنفسنا نحارب إسرائيل وأميركا معًا.

– ثم جاءت أسطورة الباخرة[ليبرتي] – لا أدري هل هي أميركية أو بريطانية – فهي التي شوشت على أجهزة الطيران، وهي التي كانت تتجسس عليهم.. وهي وهي.. لقد علّقوا أكثر مصائبهم على مشجب هذه الباخرة... وصنع المصريون من هذه القصة نكات وطرائف لا حصر لها.

وكان البعثيون أسوأ حالاً وأكثر خيانةً من الناصريين... واتهم هؤلاء جميعًا شركاءهم في الحكم، وبطشوا بهم وبغيرهم من الخصوم، ولم يتّهموا أنفسهم، كما أنهم لم يسمحوا لأحد أن ينتقدهم، وأخذوا من بعد ذلك يهيّئون شعوبهم لهزائم أخرى، وكان لهم ما أرادوا، وفي كل مرة كانوا يجدون من يقتنع بما يقولون، ويجدد ثقته بهم، وهذه هي أحوال شعوبنا.

وبعد سنين قليلة بدأ الشركاء في نشر وثائق الحكم، وفضح ما خفي من أسرار، وتبيّن أنهم – ومن غير استثناء – كانوا يكذبون على بعضهم، وعلى شعوبهم، وعلى الله جلَّ وعلا، وأنهم ما أعدّوا جيوشهم وأجهزة أمنهم لخوض معركة مع اليهود، وإنما أعدّوها لحرب ومطاردة الدعاة والجماعات الإسلامية... وهم أنفسهم كانوا سبب كل هزيمة لأنهم حاربوا الله ورسوله والذين آمنوا، ونشروا الفساد، والإلحاد، والزندقة، والفجور.

وقد ذكرت هذا المثال لسببين:

الأول: النتائج التي تترتّب على هزائم شعوبنا أمام اليهود، وهزائم الإسلاميين أمام خصومهم واحدة، وسوف أتحدث عنها في نهاية هذا الموضوع.

الثاني: لم يسلم الصف الإسلامي من مثل أخلاق الذين قادوا أمتنا إلى هزائم أمام اليهود.. ولا أقول إن هؤلاء كأولئك، وإنما قلت: إن هناك تشابهًا في بعض الأخلاق والمواقف، ومن يتابع الأحداث القريبة والبعيدة يجد شواهد على ذلك. وهذا غير مستغرب لأن لكل شعب طبائع وعادات تختلف عن غيره من الشعوب... وتتصارع هذه الطبائع مع ما عند الإنسان من دين وتربية واستقامة، فإذا فقد الشعب روادًا علماء يتأسون برسول ﷺ، ويربّون الدعاة تربيةً إسلاميةً عميقة الجذور تغلّبت الطبائع والعادات على غيرها.

وإذا كنت غير راغب في اختيار أمثلة تمس صميم الموضوع فلا بأس من ذكر الظاهرة التالية:

هناك مدينتان – في بلد من بلدان العالم العربي – يتصارع كلاهما على شؤون الحكم والسياسة، وكل مدينة تدعي أن القيادة لها.. ولهذا فقد أنشأ السياسيون في المدينة الثانية حزبًا جاهليًا معارضًا للحزب السياسي الجاهلي في المدينة الأولى.

ويرفع الحزبان شعارات وطنية وقومية، ولهما دور في مقاومة المستعمر، لكن هذه الشعارات أكثر كذبًا وخداعًا وتضليلاً من السياسيين الذين أنشأوهما، والصحيح أن الصراع بين الحزبين إقليمي ضيق لا يتسع لحدود الدولة الصغيرة، وإنما وقف عند حدود المدينة وما حولها، وكذلك الحب والبغضاء بينهم فإنه مبني على هذا الانتساب.

وكان الحكم تارةً لأهل هذه المدينة وأخرى لتلك ، وإن كانت الأولى أوفر حظًا من الأخرى.

هذا المرض العضال انتقل إلى الصف الإسلامي بكل آفاته وأعراضه الفتّاكة.. وكان الصراع في بعض الأحيان صامتًا لا يتجاوز القيادات والاجتماعات الخاصة المغلقة، وفي بعضها الآخر كان صاخبًا علنيًا تتحدث عنه أجهزة إعلام أعداء الإسلام بطرقها المعهودة التي ليس فيها عدل ولا موضوعية.

وطالما وقفتُ مشدوهًا أمام هذه الظاهرة المحزنة.. فأنا أفهم أن هناك حقًا وباطلاً، وعندما يقع خلاف ويتعذر رأب الصدع يتمسّك المؤمنون الصادقون بالحق، وأصحاب الأهواء يتمسّكون بأهوائهم، أما أن يتمسك هؤلاء بقرار قيادة مدينتهم، وأولئك كذلك، وأن لا تمحص الصفوف وتبقى الأمراض والمشكلات دون حل جذري، فهذا الذي عجزت عن فهمه واستيعابه!!

ولا أدري لماذا لا تُطرح هذه المشكلة من أساسها للبحث.. ولماذا لا تنتصر التربية الإسلامية في نفوسنا على العادات الجاهلية.. وهل نقول لخالقنا يوم الحشر والندامة: الصف الإسلامي في مدينتنا على خير ما يحبه الله ويرضاه، والصف الإسلامي في المدينة الأخرى على نقيض ذلك.. وأين إخواننا هؤلاء من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]؟!

فإن قال قائل: لا ينبغي التعميم في الحكم، فهناك دعاة من أهل المدينة الأولى يعملون مع أهل المدينة الثانية وبالعكس.

قلنا: نجد مثل هذا بين السياسيين العلمانيين، وهذا من الشواذ، والشاذ لا حكم له.

والخلاصة :

إذا ألّمت بنا مصيبة، وقيل لنا: إن الأميركان أو النصارى أو اليهود هم سبب هذه المصيبة، وجب علينا أن نقول: قولكم هذا مخالف لسنة من سنن الله الثابتة (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ)، فالنعمة من الله، والمصيبة من أنفسنا وأعمالنا، قال ابن القيم رحمه الله عن أهل أُحُد:

«إن هذا الذي أصابهم إنما أُتوا فيه من قبل أنفسهم، وبسبب أعمالهم، فقال:(أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، وذكر هذا بعينه فيما هو أعمّ من ذلك في السور المكية، فقال: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ)، وقال:(مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهَّ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ)، فالحسنة والسيئة هاهنا: النعمة والمصيبة، فالنعمة من الله منَّ بها عليك، والمصيبة إنما نشأت من قبل نفسك وعملك، فالأول فضله، والثاني عدله، والعبد يتقلّب بين فضله وعدله، جارٍ عليه فضله، ماضٍ فيه حكمه، عدل فيه حكمه، عدل فيه قضاؤه، وختم الآية الأولى بقوله:(إِنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، بعد قوله: (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ)، إعلاماً لهم بعموم قدرته مع عدله، وأنه عادل قادر، وفي ذلك إثبات القدر والسبب، فذكر السبب وأضافه إلى نفوسهم، وذكر عموم القدرة وأضافها إلى نفسه، فالأول ينفي الجبر، والثاني ينفي

القول بإبطال القدر، فهو يشاكل قوله: (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ). اهـ [1].

منذ أن هدمت آخر آثار الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م، والدعاة إلى الله يعملون من أجل توحيد العالم الإسلامي، وعودة الخلافة التي كانت رمز عزّهم وقوتهم ووحدتهم، وقد اقتربوا مراراً من النصر لكنه لم يتحقق مرةً واحدةً خلال أكثر من ستين عامًا.

لماذا لم يتحقق النصر؟!

سؤال جدير بالعناية والاهتمام، ورغم تعرّض عدد من الباحثين له فلا يزال يحتاج إلى جواب مقنع، ولن يكون مقنعًا إلا إذا جاء معزّزًا بالأدلة الشرعية وبالشواهد العصرية الدقيقة.

إن عدد الدعاة إلى الله لم يكن ضئيلاً، واستجابة جماهير الأمة لهم كانت قويةً، ولم يتردد جند الله في بذل أموالهم وأرواحهم عندما دعا داعي الدعوة والجهاد، وكانت شجاعتهم مثالاً تحتذي به الأجيال.

رغم ذلك كله لم يحقق هؤلاء الأبطال أهدافهم... وشاء الله لأمر يريده أن ينهزموا شرّ هزيمة أمام ضابط كان محسوبًا عليهم أو أمام طائفة منبوذة تافهة ومرتدّة عن الإسلام، أو أمام تجمع إقليمي يضمّ رعاع الناس وأوباش الخلق.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة ٣/ ٢٣٨.

ليس مستغربًا أن ينتصر المسلمون مرةً وينهزموا مرتين أو ثلاثًا بسبب أخطائهم أما أن تكون محاولاتهم ومعاركهم كلها هزائم، فهذا يعني أن هناك خللاً يجب إصلاحه.

قال تعالى:

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:١٤٠].

وأخطر من الهزيمة الآثار الناتجة عنها: فالتقويمات تفتقد الدقة والموضوعية، والتعامل مع الأحداث غير مبني على أساس صحيح، وطالما سمعنا كبار قومنا يقولون: فعلنا كل ما نقدر عليه، ولكن حجم المؤامرة كان أكبر من طاقاتنا، وغير ذلك من الأعذار التي يرددها القادة الذين انهزموا عدة هزائم أمام حفنة من اليهود.

ومن آثار هذه الهزائم تصدّع الصف من داخله لأن الخلافات التي كانت مستورةً ولا يعرفها إلا الخاصة تظهر بشكل مفاجئ، وبمنتهى العنف والقسوة، وتنقسم القيادة على نفسها، ويبدأ التجريح والتشهير، وأحيانًا الضرب والقتل وسفك الدماء.

ويصاب الجند بذهول شديد، ففلان كان يوثّق فلانًا، ويثني عليه وكأنه من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واليوم يقول عنه كلامًا مناقضًا للكلام السابق فأي القولين هو الصحيح؟، والآخر يردّ الصاع صاعين، والدعوة في إجازة ونكاد لا نجد أحدًا إلا وقد سقط في أوحال الفتنة. ويتقوقع الطيبون المخلصون من

الدعوة على أنفسهم وينسحبون من ميدان العمل الجماعي، ويشغلون أنفسهم بقضايا هامشية لا قيمة لها.. وإذا حدّثتَ هؤلاء عن الإصلاح، وحاولت أن تشحذ عزيمته، وتثير في نفسه روح التفاؤل رد عليك قائلاً:

كنت أكثر نشاطًا وحركةً منك.. كنت أحضر هنا، وأحاور هناك، وتبيّن لي بعد سنين من التجارب المريرة أنني كنت ساذجًا مغفلاً، وأن الأمور ليست بهذه البساطة التي كنت أتصورها، وما عدت اليوم أثق بأحد ولا أصدق أحدًا.

وآخر يقول: نحن في آخر الزمان، وما من يوم إلا والذي بعده أسوأ منه، ولن يصلح الأمة إلا المهدي المنتظر!! ولا يدري هذا القائل أنه قد يمر ألف عام أو أقل من ذلك أو أكثر دون أن يظهر المهدي، ولو أخذ هو وغيره بأسباب النصر وصدقوا مع الله لغيّروا هذا الواقع ولكنه اليأس الذي حذّرنا الله منه.

ومع وجود هذه السلبيات فهناك صحوة إسلامية في كل مكان من عالمنا الإسلامي... وهناك جموع غفيرة من الشباب عادوا - ويعودن - إلى الله سبحانه وتعالى تائبين قانتين... ولهؤلاء الرجال همم وثّابة ونفوس عالية، والخير والبركة فيهم وقد يقول قائل: فما لنا واليائسون المنهزمون إذن؟! والجواب على ذلك من وجوه:

منها: أن عمر هذه الصحوة عقدان، ونحن نقوِّم مسيرة ستة عقود.

ومنها: أن هذه الصحوة ليست الأولى. لقد سبقها أكثر من صحوة، ومن الأمثلة على ذلك صحوة الخمسينيات في مصر وبلاد الشام، ولم تحقق تلك الصحوة أهدافها

لأن أعداء الله تمكنوا بخبثهم ودهائهم من توجيه ضربة عنيفة لها، ونريد لصحوتنا الجديدة أن تتعظ وتستفيد من أخطاء الصحوة السابقة.

ومنها: أن الأمور تُساس بالطريقة نفسها التي كان يساس فيها العمل الإسلامي قبل نصف قرن، وأن الجماعات اليوم أكثر عددًا، وأقل تعاونًا، ونتيجةً لذلك فقد تمكّن عدونا من إجهاض الصحوة الحديثة، وأقرب مثال على ذلك المصيبة التي حلت بـبلاد الشام في أوائل الثمانينات.

نعود بعد ذلك إلى سؤالنا: لماذا تتكرر الهزائم رغم كثرة العطاء، واستعدادهم للبذل والصحوة... ولماذا لم يستثمر الإسلاميون فرصًا ثمينة يندر أن تتكرر؟

سنجيب على هذا السؤال من خلال عرضنا لسنن الله في النصر.

سنن الله في النصر

أولاً: الله هو الناصر:

مما يجب أن يعتقده المسلم ويؤمن به إيمانًا راسخًا أن النصر من الله وحده لا شريك له قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ١٢٦﴾ [آل عمران:١٢٦]. وقال: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠]. ولا بد للذين يرجون نصر الله أن تتوفر فيهم الأمور التالية:

١-أن يكون العمل خالصاً لوجه الله. عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه قال: (سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعةً، ويقاتل حميةً، ويقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟. فقال رسول الله ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استُشهد فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدت. قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار...) (٢).

---

(١) (٢) أخرجهما الشيخان.

٢-أن يحسنوا التوكل على الله. قال جل من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤]. أي أن الله كافيكم، وكافيك خداعهم إياك لأنه متكفل بإظهار دينه على الأديان، ومتضمن أن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى، فلا يهولنكم كثرة عدوكم وشدة بأسه وقلة عددكم وضعف إمكاناتكم فإنكم إنما تنتصرون بحسن توكلكم على الله ثم بوحدة صفوفكم وتآلف قلوبكم.

والتوكل فريضة من فرائض الإسلام وشرط من شروط الإيمان. قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ٢٣﴾[المائدة:٢٣]. وقال: ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ٨٤﴾ [يونس:٨٤].

وقال ابن القيم رحمه الله في بيان معنى هاتين الآيتين:

«فجعل التوكل على الله شرطًا في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه، وفي الآية الأخرى: (قَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) فجعل دليل صحة الإسلام التوكل، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفاً كان دليلاً على ضعف الإيمان ولا بد. والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية.

فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان، ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الرأس من الجسد، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقامته وأعماله إلا على ساق التوكل».

وقال صاحب كتاب فتح المجيد:

«لكن التوكل على الله قسمان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم: من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاعة، فهذا شرك أكبر.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالى عليه: من رزق، أو دفع أذى ونحو ذلك فهو شرك أصغر» (١).

وإذن: فمن الشرك الأكبر الاعتقاد بأن النصر لا يتحقق في ميادين الدعوة والجهات إلا بالتحالف مع الطواغيت والتوكل عليهم.

٣- أن ينصر الدعاة المجاهدون ربهم. قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

قال الشنقيطي رحمه الله في بيان معنى هذه الآية:

«بيّن الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه أقسم لينصرنّ من ينصره، ومعلوم أن نصر الله إنما هو باتباع ما شرعه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه ونصرة رسله وأتباعهم، ونصرة دينه وجهاد أعدائه وقهرهم حتى تكون كلمته جل وعلا هي العليا وكلمة أعدائه هي السفلى.

---

(١) فتح المجيد، ص: ٤١٢، مكتبة دار البيان.

ثم إن الله جل وعلا بين صفات الذين وعدهم بنصره ليميّزهم عن غيرهم فقال مبيّنًا من أقسم أنه ينصره، لأنه ينصر الله جل وعلا ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [الحج:٤١] الآية. وما دلت عليه هذه الآية الكريمة: من أن من نصر الله نصره الله جاء موضَّحًا في غير هذا الموضع كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨﴾ [محمد:٧-٨]. وقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣]، وقوله تعالى:﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة:٢١]، وقوله:﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٥٥] الآية. إلى غير ذلك من الآيات، وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج:٤١] الآية، دليل على أنه لا وعد من الله بالنصر إلا مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالذين يمكن الله لهم في الأرض ويجعل الكلمة فيها والسلطان لهم، ومع ذلك لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة، ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فليس لهم وعد من الله بالنصر، لأنهم ليسوا من حزبه، ولا من أوليائه الذين وعدهم الله بالنصر، بل هم حزب الشيطان وأولياؤه، فلو طلبوا النصر من الله بناء على أنه وعدهم إياه، فمثلهم كمثل الأجير الذي يمتنع عن عمل ما أجره عليه، ثم يطلب الأجرة ومن هذا شأنه فلا عقل له، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج:٤٠] العزيز الغالب الذي

لا يغلبه شيء» [١].

ولأن رسول الله ﷺ كان يعتقد بأن الله وحده هو الناصر، فقد كان يكثر من الالتجاء إلى الله يسأله النصر والتمكين. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

(لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مدّ يديه فجعل يهتف ربه: (اللهم أنجز لي ما وعدتني. اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض).

فما زال يهتف بربه، مادًّا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: (يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك). فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فأمدّه الله بالملائكة [٢].

---

(١) أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت، ٥/ ٧٠٣-٧٠٤.

(٢) أخرجه مسلم [١٧٦٣]، وأخرج البخاري والترمذي وابن جرير من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، واللهم إن شئت لم تعبد) فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك، فخرج وهو يقول: (سيهزم الجميع ويولون الدبر).

- وإذا كان هذا هو أمر النصر وهذه هي أسبابه فكيف ينتصر من يقول: كنا مضطرين لإعلان الجهاد لأن الشباب الذين يعملون معنا بدأوا يتخلون عنا، وينضمون لجماعات أخرى تدعو إلى الجهاد.

- وكيف ينتصر من يدفع الناس إلى القتال، وهو وأهله بعيدون عن ميدان المعركة لا يقتربون منها ولا يشاركون فيها مع أنهم ليسوا من أصحاب الأعذار.

- وكيف ينتصر من لا يتورع عن أي عمل من أجل الوصول إلى كرسي القيادة.

- وكيف ينتصر من يسبح في أوحال الذنوب والمعاصي، ويتاجر بدين الله.

- وكيف ينتصر من يقول: لا سبيل إلى تحقيق النصر إلا إذا تحالفنا مع المشركين والمرتدّين، وهو يعلم أنه الأضعف في هذا الحلف المشبوه.. ثم تراه ينتقّل من حلف إلا حلف آخر، ويستعين بحلفائه ضد إخوانه الدعاة إلى الله.

إن أمثال هؤلاء لم يبلغوا مرحلة الذين يقاتلون حميةً أو رياءً، أو يقاتلون من أجل السمعة والصيت، لأن من يشارك في القتال قد يُقتل، وهؤلاء يريدون الغنائم ولا يريدون الموت. ولن ينصر الله هذا الصنف من الخلائق ولو اتبعهم أهل الأرض واستجابوا لأوامرهم.

ثانياً: الإعداد:

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٦٠].

- الرباط: الحبل الذي تربط به الدابة ورابط الجيش أقام في الثغر.

- ترهبون به عدو الله وعدوكم: أي الكفار فهم أعداء الله وأعداء لنا لأنهم يتربصون بنا الدوائر.

- وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم: أي وترهبون به أناساً من غير الأعداء المعروفين والله وحده يعرف عداوتهم لكم، وعدم العلم عند نزول الآية لا ينافي العلم بعد ذلك. وكثير من المنافقين لم يكونوا معروفين عند المسلمين.

- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي) [1].

ظن بعض المفسرين أن الإعداد قاصر على الرمي، ولقد ذكر شيخ المفسرين - الطبري - مختلف أقوال العلماء ثم ختمها بقوله:

«والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب، وما يتقوّون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين، من السلاح والرمي وغير ذلك، ورباط الخيل، ولا وجه لأن يقال: عني بالقوة معنى دون معنى من معاني القوة، وقد عمّ الله الأمر بها، فإن قال قائل: فإن رسول الله ﷺ قد بيّن أن ذلك مرادٌ

(١) أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه.

به الخصوص بقوله: (ألا إن القوة الرمي)؟ قيل له: إن الخبر، وإن كان قد جاء بذلك، فليس في الخبر ما يدل على أنه مرادٌ بها الرمي خاصة، دون سائر معاني القوة عليهم، فإن الرمي أحد معاني القوة، لأنه إنما قيل في الخبر: (ألا إن القوة الرمي)، ولم يقل دون غيرها، ومن القوة أيضاً السيف والرمح والحربة، وكل ما كان معونةً على قتال المشركين، كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم، وفي النكاية منهم» [(١)].

وقال رشيد رضا: «ومن قواعد الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالواجب على المسلمين في هذا العصر بنص القرآن صنع المدافع بأنواعها، والبنادق والدبابات والطيارات والمناطيد، وإنشاء السفن الحربية بأنواعها ومنها الغواصات التي تغوص في البحر، ويجب عليهم تعلم الفنون والصناعات التي يتوقّف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من قوى الحرب بدليل: [ما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب]، وقد ورد أن الصحابة استعملوا المنجنيق مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر وغيرها، وكل الصناعات التي عليها مدار المعيشة من فروض الكفاية كصناعات آلات القتل».

لقد عمل سلفنا الصالح رضوان الله عليهم بمقتضى هذه الآية الكريمة فكان جيشهم أقوى جيوش الأرض، وأسلحتهم أحدث أنواع الأسلحة، واستعدادهم للموت يعجز عنه الوصف... ولهذا فقد أرهبوا عدوّ الله وعدوّهم، وهزموا جيوش الفرس والرومان، وملكوا أرضهم وديارهم.

---

(١) تفسير الطبري، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف بمصر: ١٤ / ٣٧.

وتغيّر حالنا اليوم، فألف المسلمون حياة الترهل والترف والرخاء، وانصرفوا عن الجهاد في سبيل الله، وملك عدونا السلاح – قديمه وحديثه – وصار هو المتحكم ببيعه يعطيه لمن يشاء ويمنعه عمن يشاء، وأصبح بضعة ملايين من اليهود يرهبون مئات الملايين من المسلمين، ويستخفون بهم.

ثالثاً: العلم:

العلم شرط من شروط الإسلام ومتقدّم عليه. قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، وكل مسلم لا بد أن يتوفر عنده حد أدنى من العلم، ويختلف هذا الحد من شخص لآخر، ومن ركن إلى ركن آخر من أركان الإسلام.

والدعاة المجاهدون أكثر المسلمين تفهمًا لحديث رسول الله ﷺ: (من يردِ الله به خيرًا يفقه في الدين)، والجيش المجاهد في سبيل الله لا بد أن يحيط بالعلوم التالية:

شروط الحرب ومن الذين يحاربون، أسرى الحرب، الجزية، الغنائم، العهود والمواثيق، حكم ما افتتح عنوةً، متى يكون الجهاد فرض عين ومتى يكون فرض كفاية، وهل يجوز الاستعانة بالكفار، وغير ذلك من الأحكام الشرعية.

صحيح أن كل جندي لا يمكن أن يكون عالمًا بأحكام الجهاد كلها، ولكن لا يجوز أن يكون الجيش كله جاهلاً بهذه الأحكام، فلا بد أن يكون فيه علماء قادرون على وضع حلول سريعة لكل مشكلة تواجه الجند، ومن شروط اختيار القادة العلم الشرعي بالمهام التي أُنيطت بهم لا سيما وأن طبيعة المشكلة الحربية تتسم بالسرعة، ومن شروط صحة العمل أن يكون بما شرع الله.

فإذا كان المجاهد صادق النية، قوي العزيمة، ويقاتل من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، ولكنه جاهز مستهتر، يبطش بهذا ويسفك دم ذاك دون أن يتبيّن حكم الله ومعرفة الحلال من الحرام فعلمه فاسد وغير مشروع.

وقد بُلينا في هذا العصر بأناس يرتكبون منكرات فظيعةً ويسمونها جهادًا، ويغتصبون أموال الناس ويسمونها غنيمةً، وقد تكلفهم عملية الاغتصاب قتل عدد من المارة الذين ساقهم القدر إلى ذلك المكان أثناء تنفيذ العملية الإجرامية دون أن تكون لهم أدنى علاقة بالمحلات المغتصبة وأصحابها.

ولا يعترف هؤلاء بجهلهم، وإنما يختارون من أقوال العلماء ما يظنون أنه يوافق بدعهم وضلالاتهم، ويضعون هذه الأقوال في غير موضعها، ويظنون أنهم يحسنون صنعًا.

ومنهم من لا يحتاج إلى أقوال العلماء، فأوامر القيادة نصوص محكمة وهؤلاء – أي القيادة – هم العلماء الأمناء، وعندهم علم كل شيء، وغيرهم لا يجوز أن يؤخذ عنه... إن مثل هذه الأعمال مغامرات وليس جهادًا، جرائم وليست أعمالاً صالحة.

رابعاً: الوحدة والائتلاف:

بيّن الله جل وعلا أن من أهم أسباب فشل المسلمين في غزوة أُحُد، تنازع الرماة، واختلافهم، وعصيان بعضهم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ

ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٥٢].

وفي جميع غزوات رسول الله ﷺ كان المسلمون صفًا واحدًا وجماعةً واحدةً تتلقى أوامرها من قيادة واحدة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٥-٤٦].

وطاعة الله ورسوله تعني سلامة المنهج والاعتقاد، كما تعني وحدة التلقي والتوجيه، والفشل حصيلة للتفرّق واختلاف القلوب، وتعدد القيادات والجماعات.

وما من معركة خضناها - في هذا العصر - إلا وكنا فيها جماعات متنازعة وقيادات مختلفة متباغضة فكيف يتحقق النصر والتمكين؟!

إن الجميع يتحدّث عن وحدة الصف ويكتب عنها، ويبشر بها، ومع ذلك فالنتائج مؤسفة ومخيّبة للآمال، ويتّضح بعد كل محاولة أن كل فئة كانت تحاول إحراج الفئة الأخرى وتمكر بها، وتفرض عليها شروطًا تتعارض مع أهداف الوحدة والائتلاف.

والمحاولة الجادّة الناجحة يجب أن تستهدف إصلاح أمراض النفوس والقلوب.. فإذا تغيّرت النفوس، وامتلأت القلوب بالتقوى، تغيّر كل شيء في حياتنا.

ولا يزال بيننا من يتجاهل هذه النصوص الصريحة، ويظن أنه قادر على صنع الأعاجيب، وهو قابع في سرداب مظلم، ويستصغر أعمال وأنشطة إخوانه من الدعاة والجماعات الأخرى الذين يكرهون السراديب وظلماتها... فلنتق الله جميعًا ولنتدبّر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤].

أجل! لن نحقق نصراً، ولن نغيّر هذا الواقع إلا إذا أصبحت الجماعات جماعةً واحدةً، والصفوف صفًا واحدًا، وكان لنا قيادة واحدة تتمسّك بما كان عليه الرسول وأصحابه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

خامساً: الهدف:

المجاهد في سبيل الله يعلم لماذا يقاتل، ومن يقاتل، وما هو الهدف من وراء هذا القتال. قال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١].

قال بعض المفسرين: «ليس في الجهاد ترغيب أحسن ولا أبلغ من هذه الآية، لأنه أبرزه في صورة عقد عاقده رب العزة، وثمنه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر... ومن صفات الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١٢].

وعن محمد بن كعب القرظي أن عبد الله بن رواحة قال لرسول الله ﷺ: (اشترط لربك ولنفسك ما شئت! قال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون به أنفسكم وأموالكم. قالوا: فإذا فعلنا ذلك، فماذا لنا؟ قال: الجنة؟ قالوا: ربح البيعُ، لا نقيل ولا نستقيل؟) فنزلت: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة:١١١] الآية [1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة:٥٢].

وهذا الذي ينتظره المجاهد في سبيل الله: الشهادة، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، أو النصر والظفر بالعدو، والفتح المبين، وكلتاهما مما نحب ولا نكره.

النصر أو الشهادة... هكذا أراد الله جل وعلا أن يتربّى الأصحاب رضوان الله عليهم، فالله قد اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وهم في غاية الشوق إليها.

والنصر عندهم واضح المعالم: إنه لدين الله، ولتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وليس النصر للقائد ومساعديه، أو للجماعة وأعضائها.

---

(١) تفسير الطبري، ص: ٤٩٨/ ١٤.

أتدرون كيف يربي بعضهم اليوم أصحابه؟! لقد وزّعوا المناصب على أهل الحل والعقد فيهم: فهذا وزير الداخلية، وذاك للدفاع، والثالث للتربية والتعليم، والرابع للخارجية والخامسة لقيادة الجيش... ما تركوا وظيفةً كبيرةً إلا وذكروا اسم صاحبها، وأصبح الجميع يتصرّفون مع غيرهم على أساس المناصب الجديدة، وأركان هذه الحكومة العتيدة لم يطلقوا رصاصةً واحدةً ضد العدو، وبعد أن كانوا ينتقدون الشباب الذين فجّروا هذه المعركة ويصفونهم بالطيش والتهور، أصبحوا يظنون أن النصر قد اقترب فغيّروا لهجتهم، وادّعوا بأنهم أصحاب الحق، وأهل الجهاد، وجميع الشهداء منهم، ومن يشك فيما يقولون فليسأل الشهداء؟!

ولم يكن رجال هذه الحكومة الجماعة الإسلامية الوحيدة في ساحة العمل، وكانوا يتكلمون عن الوحدة، لكنهم يرون أن هذه الوحدة يجب أن تتم بالانضمام إليهم، وبالكيفية التي يريدونها، ومن يرفض هذا الظلم فقد شقّ عصا الطاعة وخالف الجماعة.

انقشع غبار المعركة الوهمية بعد حين من الزمن عن هزيمة محزنة ألّمت بهذه الحكومة وبغيرها من الدعاة والجماعات، ولم ينعم أحد من هؤلاء بالمنصب الذي أُسند إليه، وأعقبت الهزيمة خلافات واتهامات وانشقاقات وهذه عاقبة كل من يخالف سنن الله الثابتة في النصر.

وعلى ضوء هذه السنن نستطيع معرفة أسباب الهزيمة المتكررة، لأن كل من يهتم بأمور الجماعة والعمل الإسلامي يعرف من أحوالهم ما يمكنه من الحكم على مدى

التزامهم بسنن الله في النصر، وفي الصفحات القادمة سندرس الجهاد الأفغاني كمثال تطبيقي على هذه السنن.

نخلص من كل ما سبق ذكره إلى إقرار النتائج التالية:

١- وعد الله عباده المؤمنين بالنصر والتمكين، وهذا الوعد القطعي ليس خاصًّا بعصر دون عصر أو بجيل دون جيل.

٢- هناك سنن لله ثابتة في النصر منها: إخلاص النية، وحسن التوكل على الله، ومنها: الأخذ بكافة الأسباب المادية والمعنوية، ولا يستحق نصر الله وتأييده من تنكّر لهذه السنن واعتمد على قوته وكثرة جنده.

٣- إذا انهزم المسلمون في ميادين الجهاد والدعوة فعليهم أن يتهموا أنفسهم، ويقوِّموا مسيرتهم، ويزنوا أعمالهم بميزان الحق.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ﴾ [آل عمران:١٦٥]

٤ - لا بد للمسلمين الدعاة بعد كل معركة من معاركهم مع أعداء الله من دراسة تفصيلية دقيقة ومجردة يبيّنون من خلالها أسباب النصر أو الهزيمة، ولا بد أيضًا من إعلان هذه الدراسة على الملأ ليستفيد جميع المسلمين منها، ودليلنا على ذلك ما أنزله الله تعالى في كتابه الكريم بعد كل غزوة من غزوات رسول الله ﷺ، وما جاء فيما صحّ من السنة النبوية في بيان سبب نزول هذه الآيات القرآنية.

بين قناعتين

إن النتائج الآنفة الذكر لا خلاف عليها بين العلماء والدعاة والجماعات الإسلامية ومن ذا الذي يجرؤ على ردّ آية قرآنية أو حديث صحيح ثم يدعي بأنه من أهل السنة والجماعة؟. ولا خلاف على هذه النتائج أيضًا إذا بقيت أقوالاً وشروحًا لكبار أئمة التفسير والحديث، ويقع الخلاف، وتتباين المواقف عندما نربط هذه النصوص الأكيدة والصريحة بواقع عصرنا وبتجاربنا ومعاركنا مع أعداء الله، وإن كان هذا الربط واضحًا بيّنًا، وليس فيه تمحل أو تجنٍ على أحد.

وسبب هذا الاختلاف أن كثيرًا منا - معشر العاملين في الحقل الإسلامي - يرفض الاعتراف بالخطأ، كما يرفض الاعتراف بمخالفته لسنن الله في النصر والتمكين، ونكثر من المسوّغات والأعذار وإن كانت واهيةً وغير مقنعة.

وإذا كان المطلوب تقويم معركة من المعارك، فلا بد - عند أصحابنا - من التسليم بحسن النية وسلامة القصد، وكمال الإعداد الذي سبق المعركة، وبعد ذلك تأتي الأعذار والمسوّغات التي تخدم هذه المسوغات:

- كقول بعضنا: فوجئنا بكذا وكذا... ولولا هذه المفاجأة لانتصرنا على عدونا وهزمناه شرّ هزيمة.

- وقول بعضنا أيضًا: أما وقد ابتلانا الله بهذه الهزيمة فلنحافظ على وحدة حزبنا، ولنتمسّك بأوامر قيادتنا، ولنحذر من مواقف وتقويمات تعصف بوحدة صفنا، وتوغر صدور إخواننا.

وقد تتفجر الخلافات، وتُهتك الأستار، ويشتد الصراخ، ولكن من يتابع الأمور لا يجد حرصًا من أي طرف على وضع الحق في نصابه وتقويم الاعوجاج، وإنما التنافس على الزعامة وحطام الدنيا هو سبب هذه الخلافات – الجديدة منها والقديمة – ، فقائد الحزب المرهوب الجانب يتهم بعض مساعديه، ويحمّلهم مسؤولية الهزيمة، ويقول: إنهم كانوا ينفردون بأخطر القرارات ولا يردّون الأمر إليه، ويتحدث عن اتصالات مشبوهة لهم مع العدو كانت تتم من وراء ظهره، وقد حذّرهم منها ولم يخبر بقية المساعدين خوفًا من الفتنة، وإدراكًا منه لخطورة المرحلة التي كانت يمر بها الحزب.

وهؤلاء المساعدون يردون على النار بأشدّ منها، وينقسم الحزب إلى حزبين، وإن كان عدد الذين يلتفون حول قائد الحزب – أي شيخ القبيلة – أكثر لأن تربية أعضاء الحزب قامت ابتداءً على أنها جماعة المسلمين، وشيخه إمام المسلمين، وإن كانت ألفاظهم تدل على غير ذلك لأن العبرة بالعمل وليس بالقول.

ويبقى شيخ القبيلة متربّعًا على كرسي القيادة الوثير مع أنه المسؤول الأول عن الهزائم المتكررة التي لحقت بحزبه، وشيخ القبيلة من أهم مشكلاتنا ومآسينا في هذا العصر، فقد يمرض، ويشتدّ مرضه، ويحول هذا المرض بينه وبين ممارسة القيادة الفعلية وبشكل خاص في المواقف الحاسمة! ومع ذلك يبقى مستلقيًا على كرسيه – ولا غرابة في ذلك فالكرسي اليوم قد يصبح سريرًا – لا يفكر في الاستقالة ولا يفكر من حوله في استبداله.

وقد يهرم شيخ القبيلة الحزبية بل قد يخرّف أحيانًا ومع ذلك يبقى متربّعًا على كرسي القيادة. وكيف تنتظرون من حزب إسلامي أن يخالف دستوره الذي ينص على أن القائد ليس لبقائه في هذا المركز زمن محدّد، وفي هذا النص ما فيه من مخالفات للشروط التي يجب أن تتوفر في أهل الحل والعقد.

ألم أقل لكم: إننا متأثرون ببعض القادة السياسيين الذين سلطهم الله علينا في هذا العصر، فجمال عبد الناصر حمَّل نائبه ووزير دفاعه عبد الحكيم عامر مسؤولية هزيمة بلده عام ١٩٦٧م أمام حفنة قليلة من اليهود، وحمَّل زملاءه أعضاء مجلس الثورة مسؤولية هزائم أخرى وكان يبطش بهم واحدًا تلو الآخر، مع أنه كان أشدّ بطشًا من سلفه الحاكم بأمره، وما كان أحد من زملائه وأعوانه يقضي أمرًا مهمًّا دون الرجوع إليه، ولم يبق حوله عند هلاكه إلا اثنان من أعضاء مجلس الثورة لا يقولان له عن أي فعل فعله لم فعلته؟!

ولو عاش عبد الناصر قرنًا كاملاً لبقي متربّعًا على كرسي القيادة... نعم سيبقى متربّعًا ولو أفنى جيشه في اليمن، أو قاد أمته إلى كوارث اقتصادية مدمّرة، أو حوّل البلد كله إلى سجن ومعتقلات، ومع ذلك كان يعدّ نفسه من دعاة الحرية والديمقراطية والوحدة والعدالة، ويردّد بأنه هو الذي أنقذ الشعب من الاستبداد والفقر والتخلف والجهل!!

وإذا كان عبد الناصر وأمثاله من الظالمين المستبدين لا يلتزمون أوامر الله، ولا يجتنبون نواهيه، ولا ننتظر منهم غير هذه المواقف والسلوكيات، فالدعاة إلى الله لهم

شأن آخر، ولا يجوز لهم مخالفة ما يؤمنون به ويدعون إليه.

فمن قال منهم: لقد كانت أعمالنا خالصةً لوجه الله، وكنا نقاتل من أجل أن تكون كلمته جل وعلا هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، وفضلاً عن ذلك فقد تسلّحنا بكافة الأسباب المادية منها والمعنوية؛ قلنا له: هل تعلم أن ما تقوله اتهام لله بإخلاف وعده، وهو سبحانه وتعالى القائل:﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ١٧٣﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣]، والقائل:﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ٤٧﴾[الروم:٤٧]، والقائل:﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج:٤٠].

ومن قال منهم: أما وقد ابتلانا الله بهذه الهزيمة، فلا ينبغي أن نشهّر بأنفسنا، ونكشف عيوبنا أمام الخلائق. قلنا له: هذا كتاب الله يتحدث عن غزوات الرسول ﷺ، ويبيّن أخطاء بعض الصحابة – رضوان الله عليهم – ويكفينا مثالاً على ذلك خطأ بعض الرماة في غزوة أحد ومخالفتهم أمر رسول الله ﷺ فهل وضعتم أنفسكم وحزبكم في مرتبة أعلى من مرتبة أصحاب رسول الله ﷺ ؟

وبعد غزوة بدر استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعليًا في الأسرى فقال أبو بكر: يا نبي الله! هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية... وقال عمر: أرى أن تمكّنني من فلان، قريب لعمر، فأضرب عنقه، وتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكّن حمزة من أخيه فلان فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين. فهوي رسول الله ما قال أبو بكر، فأخذ منهم الفداء

فأنزل الله عز وجل:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٧-٦٨].

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فلما كان من الغد، غدوت إلى رسول الله ﷺ، فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان. فقلت: يا رسول الله! أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت. فقال النبي ﷺ: (أبكي للذي عرض علي أصحابك من الفداء لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة) لشجرة قريبة، فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ [الأنفال:٦٧] إلى قوله:﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ﴾ [الأنفال:٦٩] .

وهاهم المسلمون خاصتهم وعامتهم ومنذ أربعة عشر قرنًا يقرأون في كتاب الله ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الأنفال:٦٧] إلى آخر الآية، ويقرأون في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم بكاء رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية، ويقرأون في كتب أصول الفقه أن اجتهاد رسول الله ﷺ في هذه المسألة كان خاطئًا، ولكن هذا الخطأ لا بد أن تتبعه آية قرآنية تصحّحه... ولا يجوز لمسلم بعد هذا كله أن يقول: لماذا لم تبق هذه المسألة سرًّا بين الله ونبيه، أو يقول: كيف كان الدليل مع عمر رضي الله عنه؟ وأين عمر من رسول الله ﷺ ؟

فكيف يريد البعض – عن جهل منهم – أن يضعوا أنفسهم وأحزابهم وجماعتهم فوق مرتبة سيد الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم، ولهذا نراهم لا يعترفون بأخطائهم، ولا يقبلون أن يتحدث غيرهم عنها؟!

ومن نتائج هذه المواقف المخالفة لسنن الله الثابتة أن بعض الناس فُتنوا في دينهم، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فظنوا بأن أيام النصر قد ولّت إلى غير رجعة، والهزائم المتكررة تؤكد صدق ظنهم – على حدّ قولهم – وخطأ ما يراه العلماء والدعاة.. وليس أمام هؤلاء المفتونين إلا الاستسلام للطغاة والمفسدين، وتأييدهم والنفاق لهم وقبول وظائفهم وأعطياتهم.

والأخطاء التي يرفض بعض الدعاة ذكرها، والاستفادة منها، وتداركها في تجارب أو معارك قادمة لا تبقى مستورةً، وإنما يتصدّى لكشفها وتاريخها أعداء الإسلام، وهم ليسوا أهل أمانة وعدل، فيضيفون إليها ما ليس منها، ويخلطون بين الخبر والتعليق عليه، ويحذفون منها الجوانب الإيجابية المشرقة... أو يكتب عنها الشركاء بعدما تتفجّر الخلافات بينهم، وتتأجّج الصراعات، ويكون هدف كل طرف القضاء على الطرف الآخر ومحوه من الوجود.

وإذا أصبح ما قلناه وأكدنا عليه واضحًا عند القراء، فلننتقل إلى الحديث عن جهاد المسلمين كمثال تطبيقي على هذا البحث (قل هو من عند أنفسكم).

المبحث الثالث

جهاد المسلمين الأفغان كمثال تطبيقي

جهاد المسلمين الأفغان كمثال تطبيقي

إن جهاد المسلمين الأفغان من أروع وأضخم تجارب المسلمين ومحاولاتهم في العصر الحديث. لقد أحيا أبطال الأفغان الأمل في نفوس كاد اليأس يصرعها، ومرّغوا جبين ثاني أعظم إمبراطورية في التراب، وذكّروا كل كسول مترهل بفرضية الجهاد وأن ما أُخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة، وقديماً قيل: لا يفل الحديد إلا بالحديد.

الله أكبر ما أروع الإيمان عندما يستولي على النفوس ويزهّدها بالدنيا، ويحبّب إليها الموت في سبيل الله، وهكذا كان شأن المسلمين الأفغان عندما امتشقوا سيوفهم وعاهدوا ربهم أن لا يعودوا إلى ديارهم إلا بعد الإطاحة بالشيوعيين المارقين أو الموت دون ذلك.

لم يواجه رجال الأفغان الأشاوس نظام كابل الشيوعي وحده، ولا الاتحاد السوفيتي وحده، وإنما واجهوا معظم دول المعسكر الشيوعي التي شاركت في إرسال قوات إلى أفغانستان، فهزموهم جميعاً بإذن الله شرّ هزيمة، وخرجوا من أرض البطولات صاغرين، وسقطت أسطورة الأسلحة الفتاكة... أسقطها رجال فقراء ينشدون إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

ومن مفاخر هذا الجهاد المبارك أن المسلمين جميعًا على مختلف جماعاتهم ومذاهبهم وقفوا مع إخوانهم الأفغان وقفة رجل واحد، وقدّموا أعزّ ما يملكون - أنفسهم وأموالهم - في سبيل الله. وكان المسلمون العرب رغم المسافات البعيدة والظروف العصيبة أول من لبّى النداء. وقد استشاط الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي غضبًا

وذعرًا من مشاركة العرب الفعّالة، وكانوا يسمونهم «بالوهابيين» وهم والحمد لله من الذين وهبوا أنفسهم لله وأخلصوا التوحيد له.

وعلى ربى أفغانستان الصابرة امتزج الدم العربي بالدم الأفغاني، وتحقّقت عالمية الدعوة، وستشهد الأيام القادمة إن شاء الله مزيدًا من هذا الامتزاج في كل بلد إسلامي يستصرخ أهله ضمائر إخوانهم المسلمين ويمدّون إليهم يد العون والمساعدة.

ولا نذيع سرًا من الأسرار عندما نقول: إن الذين فجّروا الانتفاضة في فلسطين وكشمير كانوا قد جاهدوا مع الأفغان، وتتلمذوا على أيديهم، واستفادوا من تجربتهم، ونأمل من طلاب الأفغان انتفاضات أخرى في الهند وغيرها من البلدان الوثنية التي تضطهد المسلمين وتضيق الخناق عليهم.

وقد أحببت تسجيل هذه الشهادة في الجهاد الأفغاني قبل العودة إلى الإجابة عن موضوع البحث، والذي أوجزه فيما يلي:

سؤال :

لماذا تأخّر النصر طوال هذه المدة مع أن المجاهدين قدّموا أكثر من مليون ونصف المليون من الشهداء؟!

فالقوات السوفيتية خرجت من أفغانستان منذ أكثر من عامين، وبقى الشيوعيون الأفغان وحدهم، وكان الناس يظنون أن كابل سوف تسقط بعد أيام قليلة من رحيل

القوات السوفيتية، لكن هذا الأمل لم يتحقق رغم محاولات متكررة من قبل المجاهدين، وقد ردّهم العدو بشراسة وعنف.

وعندما عجز المجاهدون عن فتح العاصمة تحوّلوا إلى مدن أخرى مثل قندهار وجلال آباد، وحشد أكثرهم عددًا كبيرًا من الجند والعتاد، ومع ذلك لم يتمكّنوا من فتح أي من هاتين المدينتين.

وقد رافق هذا الفشل الذي منيت به قوات المجاهدين سقوط أنظمة المعسكر الشيوعي واحدةً تلو الأخرى، وأعقب هذا السقوط المريع والسريع محاكمة لعقائد وتصورات الشيوعيين، وفضح مذهل لاستبداد قادتهم، وكشف للوسائل التي كانوا يتبعونها من أجل إخضاع شعوبهم وترويضها.

وجاء دور الاتحاد السوفيتي فثارت شعوبه، وطافت المظاهرات شوارع أهم مدنه، وطالب قادة القوميات بالانفصال وإقامة دول مستقلة، وانتشرت أنباء فقدان المواد الغذائية الأساسية من الأسواق، ولا نعتقد أن إصلاحات «غورباتشوف» سوف تصمد طويلاً أمام أزمات خانقة لا تتحمل طول انتظار.

فكيف تتهاوى الدول الشيوعية، ويركع غورباتشوف ذليلاً أمام الأمريكان ثم يصمد نظام نجيب الله الشيوعي في كابل أمام الأبطال الذين أرغموا القوات السوفيتية على الانسحاب من أفغانستان؟!

وفي جوابي على هذا السؤال لن أقول أمورًا خاصة غير معروفة، وأنا أعلم أنني لو قلت مثل هذه الأمور الخاصة لكان الدليل معي، فالمجاهدون الأفغان مهما ذكره

الذاكرون عن مآثرهم وجليل أعمالهم، فلن يبلغوا مرتبة أصحاب رسول الله ﷺ، ومع ذلك فقد تحدّث القرآن الكريم عن أخطائهم بعد كثير من الغزوات، كما مر معنا في هذا البحث، ولكن المشهور والمتواتر من أخبار المجاهدين الأفغان يكفي لبيان الحقيقة، ولهذا فإن ما سوف أذكره تحدثت عنه الإذاعات الأجنبية مثل: صوت أمريكا، والإذاعة البريطانية، و«مونت كارلو» الفرنسية، ونُشر كثير منه في النشرات الدورية الصادرة عن المجاهدين، وفي بعض المجلات والصحف العربية، الإسلامية منها وغير الإسلامية، بل إن بعضه ردّدته أجهزة إعلام العدو الشيوعي في كابل، ويعرفه كل من يتردد على بيشاور ويلتقي هناك بالأفغان وغيرهم من المجاهدين الذين يعملون معهم.

كما إنني لن أذكر أسماء القادة والأحزاب لأن مثل هذا البحث قد يبقى عقودًا من الزمن بين أيدي القراء، وقد يتوب إلى الله من نذكر اسمه، ويصدق في توبته ويكفّر عن أخطائه بالأعمال الصالحة، ومن هذه الأعمال الصالحة: الدعوة إلى وحدة الصف، ورأب الصدع، وإيثار إخوانه على نفسه، وهذا الذي ننشده وندعو إليه، ولن أسترسل في ذكر الأحداث والمشكلات وأسبابها لأن ما أكتبه ليس تاريخاً للمشكلة الأفغانية.

الجواب:

١- كان للدعاة الذين يثق الناس بهم داخل أفغانستان وخارجها جماعة واحدة مركزها الرئيسي في «كابل»، ولم يكن قد مضى على تأسيس هذه الجماعة مدة طويلة

عندما قام الشيوعيون بانقلابهم، فالأنشطة الإسلامية المنظمة وصلت أفغانستان متأخرة، والذين أسّسوا هذه الجماعة كانوا طلبةً يدرسون في الأزهر وفي جامعات باكستان ومعاهدها، وتأثّروا بما رأوا هناك من وعي وأنشطة إسلامية منظمة، فنقلوا هذه الأفكار إلى بلدهم وأسسوا أول جماعة إسلامية.

وعندما بدأ الجهاد الإسلامي ضد الشيوعيين كانت هذه الجماعة قد تحولت إلى أربعة أحزاب وجماعات، ولو كانوا عدة أحزاب قبل الجهاد لوجب عليهم أن يتّحدوا في حزب واحد يواجهون من خلاله أعداء الله الشيوعيين الملاحدة.

ولم تكن هناك خلافات منهجية بينهم، فعقيدتهم واحدة، وأهدافهم واحدة، ومذهبهم واحد، وليس بينهم من يفكر ويفتي بغير أصول المذهب الحنفي، فالخلافات بين قادة هذه الأحزاب الأربعة لم تكن خلافات مناهج وأصول ومذاهب، وإنما هي خلافات شخصية دنيوية إقليمية، وقد حاول كثير من العلماء والدعاة توحيد هذه الأحزاب، ولكن جميع هذه المحاولات فشلت.

وإذن فنحن أمام مخالفات من قادة المجاهدين لسنن الله الثابتة في النصر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٤٦]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف:٤].

٢- كان قادة الأحزاب الأربعة يرفضون الدخول بتحالف مع حزبين آخرين مشهورين بعلاقة قيادتيهما مع الأمريكان والفرنسيين والإنجليز من جهة، ومع الملك السابق محمد ظاهر شاه من جهة أخرى.

وكان قادة هذين الحزبين الملوثين لا يخفون صلاتهم مع أعداء الله الغربيين، ومع عملائهم من الأفغان العلمانيين وعلى رأسهم محمد ظاهر شاه، ومن يجمع خطبهم وتصريحاتهم ومقابلاتهم الصحفية وأخبار رحلاتهم لـواشنطن وباريس ولندن التي تؤكد بأن لهم أهدافًا تخالف أهداف الأحزاب الأربعة فسوف يتجمّع عنده كتاب كبير الحجم.

وإذن فقرار قادة الأحزاب الأربعة في عدم الدخول بتحالف معهم كان صائبًا، وكان يحظى بتأييد ودعم أنصار الجهاد الأفغاني.

وفوجئ الناس في يوم من الأيام بإعلان صادر عن قيادة المجاهدين يشير إلى قيام اتحاد جديد يضم سبعة أحزاب أفغانية: الأحزاب الأربعة التي يحترمها المسلمون في كل مكان، والحزبان الملوثان، وحزب ثالث لا يختلف كثيرًا عن الحزبين الأخيرين!!

كيف نشأ هذا الاتحاد، ولماذا خالف إخواننا قرارهم الذي كانوا يؤكّدون عليه، وبعضهم كان يكرّر استحالة قيام مثل هذا الاتحاد؟!

قال إخواننا المجاهدون: لقد أُرغمنا على قيام هذا الاتحاد، وفرضته علينا جهات ليست أفغانيةً! وكان هذا الجواب أشدّ ألمًا على نفوسنا من قيام الاتحاد، فإخواننا كانوا يقولون: لا تستطيع أية دولة في العالم أن تفرض قرارًا على المجاهدين الأفغان، وإذا حيل بيننا وبين الإقامة في بيشاور فسوف ننقل قيادتنا إلى الداخل... وعندما سألنا وبحثنا علمنا أن الأمريكان هم الذين فرضوا هذا الاتحاد الجديد عن طريق وكلائهم في المنطقة.

والذي نخشاه أن يتكرر مثل هذا الموقف، وأن يقول إخواننا المجاهدون مرةً أخرى: أُرغمنا على قبول عودة ظاهر شاه كملك أو كرئيس حكومة، أو يقولون: أُرغمنا على قبول حكومة يشارك فيها الشيوعيون أو من لهم صلة بالشيوعيين.

وكيف لا نخشى تكرار مثل هذا الموقف الذي فرضه عدو لنا – الأمريكان – لا يرقب فينا إلاً ولا ذمة؟!

٣- أصبح الوضع على الشكل التالي:

هناك أحزاب وجماعات لم تدخل الاتحاد، أو لم يُسمح لها بدخوله، بعضها يمتاز بالصدق والإخلاص وسلامة العقيدة، وبعضها خلاف ذلك... وهناك أحزاب يضمها الاتحاد: بعضها موضع تقدير الدعاة في العالم وبعضها ملوّث.

والجانب الآخر في هذه المأساة أنه تم اختيار أحد الملوّثين من أصدقاء الأمريكان ليكون رئيسًا لدولة المجاهدين المؤقتة... وهذا يعني أن قادة الأحزاب الرئيسية الأربعة لم يتفقوا على رجل منهم ليكون رئيسًا للدولة المؤقتة، واتفقوا على عميل من عملاء الدول الغربية!!

وأخذ بعضهم يقول: لقد ظَلَمْنا الرجل لأننا ما كنا نعرفه عن كثب، وعندما عرفناه لمسنا منه الإخلاص والصدق والتجرّد، وعندما يُواجه هؤلاء بتصريحاته ومواقفه كانوا يلتمسون له الأعذار، وآخر قولهم: لعله قد أدرك خطأ ما كان يدعو إليه، وتاب إلى الله، والله غفور رحيم.

وبعضهم يقول: لو تم اختيار فلان – ويذكر أحد الأسماء التي يقدّرها ويحترمها أنصار الجهاد الأفغاني – لوقعت فتنة واستحال توحيد صفوف المجاهدين، ولكن الله سلّم، فهذا الرجل الذي وقع الاختيار عليه يرضي كل الأطراف، واختياره أمر شكلي لا يضر!!

اللهم إليك المشتكى وأنت وحدك المستعان! أفبعد مليون ونصف المليون من الشهداء الأبرار يتربّع هذا الرجل الملوّث على كرسي رئاسة دولة المجاهدين الأفغان، وهو الذي لا يمثّل أهداف هذه الأمة الطيبة، وليس مؤتمنًا على عقيدتها ومنهجها؟!

وهذه مخالفة أخرى لسنن عديدة من سنن الله في النصر، وقد انهزم المسلمون يوم حنين لأن صفهم لم يكن متميّزًا مع أن قيادتهم كانت طاهرةً معصومةً، فكيف إذا كان البلاء في القائد الأول وفي بعض من حوله... ترى هل كان ينتصر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لو أسندت قيادتهم إلى المنافقين؟!

أستغفر الله وأتوب إليه، ففي هذا السؤال تجاوز كبير! لأن الصف المتميّز يستحيل أن يقوده منافق فاسد النية سيء الطويّة.

٤- نعود إلى الأحزاب الأربعة التي هي موضع احترام أنصار الجهاد الأفغاني في العالم، فإن نشأة هذه الأحزاب لم تتم من خلال التربية والتمحيص، وحسن اختيار الأعضاء فالقدامى من أعضاء الجماعة الأولى أصبحوا موزعين بين هذه الأحزاب الأربعة، واختيار الأعضاء الجدد فرضته ظروف الجهاد، فالقبائل تنضم تلقائيًا إلى الصف الذي يقف فيه زعماؤها، وقل مثل ذلك في القوميات، فهذا الحزب نجد أن

معظم أعضائه من الفرس السُّنة لأن قائده الأول فارسي، ومعظم أعضاء الحزب الآخر من البشتون لأن قائده الأول من البشتون، وقل مثل ذلك في الحزبين الآخرين.

وتركيبة هذا شأنها لا بد أن تكون خليطًا من الدعاة الطيبين، والجهلة المفسدين من المنافقين والانتهازيين... بل إن مثل هذه التركيبة لا تخلو من تجار المخدرات ومن الذين لا يفرّقون بين الشيوعي والإسلامي.

وحجة قادة الأحزاب الإسلامية في وجود مثل هذا الخليط غير المتجانس أنهم لا يستطيعون منع من يطلب منهم الانضمام إلى صفوفهم وجهاد أعداء الله الشيوعيين. وردنا على ما يقولون: إنه لا بد من حدٍ أدنى من الشروط التي يجب أن يلتزم بها كل من ينتسب إلى هذه الجماعات ومن يخالف هذه الشروط لا بد أن يُحاسب وينال العقوبة الشرعية التي يستحقها، ومن جهة أخرى لا بد من برنامج تربوي يطبق على المجاهدين حسب مستوياتهم، ويتكفّل الموجهون بنقل المجاهدين إلى مستويات أفضل علمًا وأدبًا وأخلاقًا.

ومما زاد الطين بله أن كثيرًا من طلاب العلم الذين كانوا يشغلون مناصب قياديةً استشهدوا في ميادين البطولة والجهاد، فخسر المجاهدون باستشهادهم خسارةً فادحةً، وحلّ مكانهم من لا يملك حصيلةً علميةً ولا تربويةً، فتركت هذه الآثار السلبية بصماتها على مسيرة الجهاد الأفغاني، واستطاع بعض الجهلة من الوصول إلى مراكز قيادية وإدارة الأمور إدارةً أساءت كثيرًا إلى الجهاد، وإلى الروابط والأواصر

الأخوية بين قادة وأعضاء هذه الأحزاب الإسلامية.

٥- إن رحيل القوات السوفيتية من أفغانستان حدث هام، وقد وضع المجاهدين أمام مرحلة جديدة، لكنهم لم يستطيعوا الانتقال إلى هذه المرحلة، كما أنهم لم يغيّروا من وسائلهم واستراتيجيتهم القديمة التي ألفوها.

إن رحيل القوات السوفيتية كان يتطلّب من المجاهدين الانتقال من حرب العصابات إلى حرب المدن، وحرب التحرير الحاسمة، وهذه النقلة كانت تستوجب قيام جيش نظامي يضم المجاهدين على مختلف أحزابهم وجماعاتهم، وأن يكون لهذا الجيش قيادة واحدة لا تسمح بالخلافات والصراعات السابقة.

لم تتحقق هذه الأمنية، ولم يكن هناك استعداد لقيام تنسيق عسكري فعّال بين قوات الأحزاب والجماعات، وعندما كان أحد الأحزاب الكبيرة يدعو إلى التعاون في فرض حصار قوي على كابل أو قندهار أو جلال آباد كانت بعض الأحزاب الأخرى تنظر إلى هذه المسألة نظرةً خاليةً من التجرّد والجدّية، وكانوا يخشون أن تفتح المدينة، ويستأثر الحزب الداعي إلى الحصار بها، ومن المؤكد أن أحد هذه الأحزاب لا يكتفي بعدم تلبية الدعوة ومساعدة إخوانه، وإنما كان يفتح الطريق - الذي يملك إغلاقه - أمام قوات العدو لتوجّه لإخوانه ضربةً قويةً وتفك الحصار الذي يهدد المدينة.

ولينتبه القارئ فقد قلت: أحد الأحزاب أو بعضها، ولم أقل: كلّها، فالخير موجود بين المجاهدين وبين الأحزاب، وهو الأصل والحمد لله.

ومن يقدر له أن يسبر غور الأحزاب الأفغانية، فسيجد خللاً في التعاون والتنسيق داخل كل حزب، وذلك لأن الحزب يتألف من عدة مجموعات منتشرة داخل أفغانستان، وكل مجموعة تعمل وحدها بشكل فيه كثير من الاستقلالية، وعندما تواجه المجموعة دبابةً معاديةً لا تحدد قطاعات رمي، بل كل من يرى الدبابة يطلق النار بغزارة ولهذا فهم يهدرون كميةً كبيرةً من الذخيرة.

وليست القيادة السياسية أحسن حالاً من الأنشطة الجهادية، فالحكومة الأولى لم تباشر مهامها منذ تأسيسها إلى انتهاء مهمتها، والحكومة الثانية لا تحترم الأحزاب القرارات التي تتخذها، وكل حزب يتصرف وكأنه أمة واحدة.

القيادة الميدانية

أفرزت هذه الفوضى نوعيةً غريبةً من القادة العسكريين، وسأتحدث فيما يلي عن أوسع القادة الميدانيين – في داخل أفغانستان – شهرةً، معتمداً في ذلك على المصادر التي ذكرتها فيما مضى، وأضيف إليها تقريرًا مهمًّا كتبه أكثر من ستين مجاهدًا عربيًّا استجابوا لنداء الجهاد، ورغبوا أن يقاتلوا تحت إمرة هذا القائد الذي سمعوا الدنيا كلها تتحدث عن بطولاته وشجاعته وحنكته ودهائه! فطاروا إليه زرافات ووحدانًا! ومكثوا قرابة ثلاث سنوات في جواره يتعاملون معه ومع مساعديه، وعادوا يتحدثون عما رأوه وشاهدوه هناك.

وهؤلاء الذين كتبوا هذا التقرير مشهورون في أوساط المجاهدين، ويحمل كثير منهم شهادات عالية، وليسوا طرفًا في خلافات الأفغان.

جاء في هذا التقرير، وتأكد من مصادر أخرى أن هذا القائد ومساعديه يملكون المال الوفير، وفي حياته شيء من البذخ والإسراف، ويقدّم لجنده رواتب لا يحصل أمثالهم في الأحزاب الأخرى على ربعها أو قل من ذلك.

ويقيم في شمال أفغانستان عدد غير قليل من الفرنسيين، والألمان، والإنجليز، يقولون بأنهم صحفيون ومستشارون، وهؤلاء هم الذين يضخّمون دوره في إذاعاتهم، ويدعون بأنه يملك أكبر قوة منظمة، وأن جيشه هو المرشّح لاحتلال كابل وإسقاط النظام الشيوعي فيها.. كما يقولون بأنه لا مثيل له في قيادة الجند وإدارة دفة المعارك.

ويقيم معه أيضًا كثير جدًّا من الممرضات الفرنسيات، ووجودهن يثير الكثير من الشبهات، أما جيشه فخليط من الباطنيين - كالإسماعيليين والرافضة - والفرس، والشيوعيين الصينيين.

ومنذ عام (١٩٨٣) عقد هدنةً مع الروس، ولم يحصل بعد هذا التاريخ أي معركة جادّة بينه وبينهم، وهنا سؤال يفرض نفسه بإلحاح: كيف جلس الروس معه، وهم الذين كانوا يرفضون الجلوس مع قيادة المجاهدين، ومن هذه القيادة زعيم حزبه الذي يزعم بأنه منتسب إليه؟!

وبعد هذه الهدنة تفرّغ الرجل للسيطرة على شمال أفغانستان، وكانت حربه الحقيقية مع أكبر حزب إسلامي، وكان هذا الحزب أول حزب يتخذ من الجهاد وسيلةً لتحرير أفغانستان، ويعلم هذا القائد المشبوه أن القضاء على هذا الحزب أعزّ هدية يقدّمها للشيوعيين والغربيين في وقت واحد.

ومعظم ضحاياه من السلفيين فلقد قتل منهم أكثر من (٤٠٠٠) آلاف مجاهد، وكان عنده خرائط بالعمليات التي ينفّذها ضدهم، ففي عام (١٤٠٨هـ) هجم على المصلين يوم العيد، وقتل منهم ما يزيد على ستين مجاهدًا في بيت من بيوت الله، وقتل أيضًا عددًا من المجاهدين العرب ثم أصدر قرارًا حظر بموجبه دخول العرب إلى المنطقة التي يسيطر عليها لأنهم وهابيون، أي ينسبهم للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ولعل القارئ الكريم لا يزال يذكر الحملة الظالمة التي شنّتها أجهزة الإعلام الرافضة الإيرانيين، وأجهزة الإعلام الغربية ضد العرب كلهم لأنهم

وهابيون، ويقول هذا القائد المشبوه: إنهم ما جاءوا إلا لهدم المذهب الحنفي! وليته من الذين يلتزمون أخلاق وعقيدة أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله، ولكنه طرح شعارًا كان يعلم بأنه سيجد رواجًا بين جهلة ومبتدعة الأفغان. وهذا الذي يقف من العرب والسلفيين مثل هذا الموقف هو نفسه الذي يتذلّل للغربيين الكفرة ويوادّهم.

وفي ٢٧ / ٥ / ١٩٨٩ أجرى التلفزيون البريطاني مقابلةً معه، ننقل فيما يلي فقرات منها لأنها تجلو الغموض الذي يكتنف شخصية هذا الرجل.

سأله الصحفي عن إغلاق ممر «سالانج»:

فأجاب: «في الوقت الحالي لا نريد أن نقطع الطريق لأننا إلى الآن لم نبدأ بحرب على مدينة كابل، ومن جهة أخرى يسكن في كابل أناس لا نريد أن نضيّق عليهم، ولا نريد أيضًا أن نقطع عنهم المواد الغذائية، وأما إذا صمّمنا على الهجوم على كابل، ففي هذه الحالة سنقطع الطريق ولن نترك القوافل تمر إلى كابل».

وعن موقفه من حكومة المجاهدين أجاب:

«لا شك أن لهذه الحكومة بعض السلبيات، السلبية الأولى هي عدم مشاركة إخواننا الكرام من أهل الشيعة في هذه الحكومة، ومن أول يوم لانعقاد الجلسات في إسلام أباد أعلن المجلس أن أكثرية قادة الجبهات مشتركون في هذه الجلسة، ولكن مع الأسف الشديد نرى أن أكثرهم غير مشترك.

ومضى في انتقاده لهذه الحكومة، ثم زعم أخيرًا بأنه أيّدها حرصًا منه على وحدة المسلمين».

وسُئل في هذه المقابلة عن الحرب بين المجاهدين، فأكّد وجود مثل هذه الحرب، وزعم بأن الحزب – ذكر اسم الحزب الذي يناصبه العداء – هو السبب، وأنه يخوض معارك مع أكثر الأحزاب الأخرى.

وهذه المقابلة تؤكد أنه رفض إغلاق ممر «سالانج» أمام الشيوعيين السوفييت والأفغان علمًا بأن كابل وغيرها من المدن كانت محاصرةً، وإصراره على فتح هذا الممر أمام قوات العدو كان سببًا في إفشال كثير من المحاولات التي استهدفت فتح هذه المدن.

كما تؤكد نفاقه للرافضة ووصفه لهم بأنه إخوانه الكرام، أما السلفيون من الأفغان والعرب فهم من ألدّ أعدائه، وليس في قلبه مثقال ذرة من شفقة أو رحمة نحوهم... فماذا يفهم القارئ الكريم من موقفه هذا؟!

وغير صحيح قوله بتأييد حكومة المجاهدين رغم مشاركة رئيس حزبه بهذه الحكومة، فهو لا يُلزم نفسه ومن معه بأي قرار تتخذه هذه الحكومة أو يتخذه حزبه، فالتزامه بهذا الحزب تدور حول كثير من الشبهات، فمن مصلحته أن يتظاهر بانتمائه إليه، وهو يعرف أن انتماءه لهذا الحزب لن يفرض عليه موقفًا يتعارض مع قناعاته، ويكفيه – أي الحزب – أن يتاجر بورقة قوية في الداخل، ويستر بها ضعفه التنظيمي، وانفضاض الناس من حول قيادته.

ومن المؤسف أن هذا الحزب الذي ينتسب إليه هذا القائد، يعتبر من الأحزاب الإسلامية التي يثق كثير من المسلمين بها... وهذا الذي ارتضوه قائدًا ميدانيًا في الداخل ليس من العلماء، وليس من المعروفين في حقل الدعوة الإسلامية، والمعروف عنه بأنه تخرّج من مدرسة فرنسية، وعمره الآن لا يتجاوز أربعين عامًا، ويعلّق الشيوعيون والغربيون عليه آمالاً واسعةً، وينتظرون أن يكون «أتاتورك» أفغانستان.

نعود إلى التقرير: فقد نجح الإخوة الذين كتبوه في إقناع قيادة أنصار الجهاد الأفغاني في بيشاور بالكفّ عن مدح هذا القائد، وتقديم المساعدات له... ولكن هؤلاء قالوا:

- إن الاقتتال بين المجاهدين ليس قاصرًا عليه وحده، ففي معظم الجبهات يقع مثل هذا الاقتتال.

- أما الرافضة فالكل يسعى لمشاركتهم في الحكومة، وهم الذين يرفضون لأنهم يطلبون نسبةً لا تتناسب مع عددهم.

- أما الغرب فلهم وجود فعّال، ولا يستطيع أحد إنكار الوجود الأمريكي.

وحقاً إن الاقتتال بين المجاهدين ليس قاصرًا على هذا القائد، ومن الأمثلة على ذلك أن هذا القائد كان قد دعا في عام (١٩٨٩) قادة الجبهات من أتباعه إلى اجتماع، وكان هذا الاجتماع سريًّا، ومع ذلك فقد علم به خصومة من الحزب الآخر، ونصبوا له كمينًا، وقع فيه (٣٠) تم قتلهم، وكان منهم تسعة من كبار مساعديه، وكان من المفترض أن يقع هذا القائد في هذا الكمين، ولكن قدّر الله ثم شدّة حذره حال بينه

وبين الهلاك.

ونحن إذ نستنكر هذه المجزرة وغيرها من كل الجرائم التي يرتكبها أي طرف من أطراف الجهاد الأفغاني نستغرب موقف أجهزة الإعلام الغربية، وموقف الأحزاب المشبوهة في قيادة الحكومة. لقد استمروا طويلاً وهم يندّدون بهذه الجريمة، ورافق هذا التنديد محاكمة لخصوم هذا القائد، ومبالغة في ذكر دورهم السلبي، وكان هؤلاء من قبل يحاولون التقليل من أهمية المجازر التي يرتكبها هذا القائد ضد السلفيين وغيرهم ولا ننتظر منهم إلا الكيل بصاعين.

وبعـــد:

إن هذه الأخطاء التي يرتكبها بعض الأفغان – قيادات وأفرادًا – من أهم أسباب تأخير النصر، وما من قوم وقعوا بمثل ما وقعوا به إلا استحقوا عقوبة الله سبحانه وتعالى.

وعلى كل من يقرأ هذه الصفحات أن يأخذ بعين الاعتبار كون المجاهدين بشرًا يخطئون ويصيبون، فلا يستغربون تسلل بعض المنافقين إلى صفوفهم، أو طمع بعضهم بحطام الدنيا وزينتها.

ليست المشكلة في وقوع مثل هذه الأخطاء ولكن المشكلة في قبولها، والسكوت عنها، وعدم استنكارها، والقعود عن إصلاحها.

إننا نسمع اليوم أخباراً طيبةً ومشجّعةً، منها: أن الذعر يسيطر على قلوب القادة الشيوعيين في كابل، وأن الخلافات قد كثرت بينهم والحمد لله، وأصبحوا شيعًا وأحزابًا، وكل حزب يبحث عن الطريقة التي ينقذ من خلالها نفسه ومن معه... وهؤلاء يعلمون بأن المسلمين قادمون، ولن تحول الشيوعية بينهم وبين الوصول إلى كابل واحتلالها، وكل آت قريب.

ومنها: أن الاتحاد السوفيتي يعاني مشكلات داخليةً لم يعهدها من قبل، ومن هذه المشكلات: الصراعات القومية، والدمار الاقتصادي، وانتشار المجاعة، ولم يعد قادرًا على استمراره بدعم ومساعدة عملائه الشيوعيين في كابل.

ومنها: أن المجاهدين اقتنعوا بأنهم لن يحققوا نصرًا إلا إذا اتحدوا، وتغلّبوا على خلافاتهم الداخلية، والمخلصون في هذه الأمة كثر والحمد لله، وهناك تحسن ملموس في أدائهم وتعاونهم.

ونرجو أن نرى قريبًا قيام حكومة فعلية يسمع المجاهدون لها ويطيعونها، وقيام جيش واحد له قيادة واحدة تعمل من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

ونرجو أن ينقل إخواننا الأفغان جهادهم إلى البلدان الإسلامية المنكوبة داخل الاتحاد السوفيتي.

أما أنصار الجهاد الأفغاني - وكل مسلم صادق من أنصار هذا الجهاد - فالواجب عليهم أن يستمروا في دعم المجاهدين بالأنفس والأموال والخبرة، والله في

عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

أفغانستان بعد سقوط نجيب الله

اعترض بعض الإخوة عما كتبناه عن أفغانستان، وظنوا بأننا استعجلنا فيما قلناه ولم نتثبّت، وشكّكوا بالتقرير الذي كتبه عدد كبير من المجاهدين العرب الذين تعاملوا مع هذا القائد الميداني، ولم تتسع عقولهم لقولنا: هناك شيوعيون ورافضة وإسماعيليون باطنيون في جيش هذا القائد.

وأضاف الإخوة المعترضون: لا ينبغي النيل من بعض المجاهدين الأفغان في مقال أو كتاب ولو كان ما يقال عنهم صحيحًا لأننا نريد بقاء صفحات جهادهم ناصعةً بيضاء في أذهان المسلمين.

وكل الذي اعترض عليه الإخوة أو شكّكوا فيه أجبنا عليه في المقال السابق، فنحن لم نكشف أسرارًا مكتومةً، فأجهزة الإعلام العالمية تتحدث عن خلافات المجاهدين بشكل مضخّم ليس فيه حياد ولا تجرد، ولم يكن مصدرنا الوحيد تقرير المجاهدين العرب، فكل من يتردد على بشاور يعرف الكثير الكثير عن هذه الخلافات.

ولماذا لم يقل المعترضون: لا نريد أن يتحدث الناس عن غزوة أُحُد، ونرفض مبدأ الكتابة عن الرماة الذين خالفوا أمر رسول الله ﷺ ، ولا نقبل أن يقول قائل: لم يثبت حول رسول الله ﷺ عندما دارت الدائرة على المسلمين إلا بضعة رجال من الصحابة أو يزيدون قليلاً، وكان من بين المنهزمين بعض السابقين الأولين من أصحاب رسول الله ﷺ !!

لا يستطيع الإخوة المعترضون رد هذه الأخبار أو التشكيك بها أو القول: ليس من المصلحة نسبة الهزيمة إلى السابقين الأولين من أصحاب رسول الله ﷺ . وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة إلى الصحابة رضوان الله عليهم، فلماذا لا نتحدّث عن المجاهدين، ونستخرج دروسًا وعبرًا من تجربتهم الرائدة.. ومن هذه الدروس مخالفة بعضهم لسنن الله الثابتة في النصر؟!، وهل الأفغان أفضل من أصحاب رسول الله ﷺ ؟!

تذكّر بعض المعترضين ما سبق أن قلناه بعد سقوط نجيب الله، وبعد تحالف بعض المجاهدين مع أعداء الله من الشيوعيين والرافضة والباطنيين وعملاء الأمريكان، ودخول هذا التحالف المشبوه في قتال مع الحزب الإسلامي في كابل .

قال لنا بعض المعترضين: الآن فهمنا أهمية ما كتبتموه وصحة ما رأيتموه. ولكن من يدري أنهم لن يغيّروا موقفهم، ويعودوا إلى رأيهم الأول بعد أن تحسّنت العلاقات ما بين الجمعية والحزب الإسلامي.

والذي يعنينا في هذه الحلقة أن هناك أمورًا جدّت بعد سقوط نجيب الله، وقبل عرضها والتعليق عليها لابد من ذكر الملحوظات التالية:

١- ليغضب من يغضب وليرضَ من يرضى، فنحن مع النصوص الشرعية الثابتة، ولسنا مع العواطف الغوغائية التي تتغيّر من يوم لآخر، وإرضاء الناس غاية لا تدرك، ومن يخالفنا اليوم قد يوافقنا بعد حين، أو قد تكشف له الأحداث خطأ ما كان يراه.

٢- ذكرنا فيما مضى السبب الذي دعانا إلى عدم ذكر أسماء بعض قادة الجهاد الذين نقصدهم، غير أننا سنذكر هذه الأسماء في هذه الحلقة وذلك لسببين: السبب الأول: فهم معظم قرائنا أننا نقصد أحمد شاه مسعود من الجماعات التي يحترمها المسلمون في كل مكان، ومجددي وكيلاني من جماعات الضرار. السبب الثاني: ازداد خط الانحراف وضوحًا بعد سقوط مزار شريف/ وسقوط نجيب الله، وظهرت التحالفات على حقيقتها، ولم يعد مقبولاً التستر على هذه التحالفات والاكتفاء بالتورية والتلميح.

٣- ليست هذه الدراسة عرضًا إخباريًّا لأحداث الجهاد الأفغاني، والأخبار تختلف من يوم لآخر، ولو كانت كذلك لأعربت عن سروري وفرحي لأن جماعات أهل السُّنة أدركت حجم المؤامرة والمتآمرين، ونظّموا شيئًا من التعاون والتنسيق بينهم، وهلّل المسلمون في كل مكان لهذه المبادرة، ودعوا لهم بمزيد من التعاون.

لو كان الأمر كذلك لقلت: اقترب الأفغان من تحقيق سنن الله في النصر، وها هو حزب الله يواجه حزب الشيطان في كابل وما حولها، ولكن هذه الدراسة محاولة لفهم أوضاعنا ومشكلاتنا المعاصرة من خلال دراسة سنن الله الثابتة في النصر.

وبعد ذكر هذه الملحوظات نعود إلى السياق: سقطت "مزار شريف"، وتحدّث الخبراء والمحلّلون عن أهمية سقوط هذه المنطقة، وأكّدوا أن سقوط كابل بات وشيكًا، ولم يعد من الممكن بقاء نجيب الله ونظامه المهترئ.

ولقد ارتبط سقوط مزار شريف بالبطل "أحمد شاه مسعود"، وعادت أجهزة الإعلام العالمية لتسلّط الأضواء عليه بشكل ملفت للنظر، كانت هذه الأجهزة تسميه أسد بانشير وأصبحت تسميه أسد أفغانستان كلها، وبدأ هذا البطل الأسطوري يتأهب لفتح كابل، واستمرت هذه الأجهزة العالمية تحذّر من القائد الأصولي حكمتيار، ومن قيام دولة أصولية.

وبعد أيام معدودة تآمر جنرالات كابل على رئيسهم نجيب الله فأسقطوه، وأسقطوا معه النظام الشيوعي، وتسابقت الجمعية الإسلامية والحزب الإسلامي على دخول كابل والسيطرة عليها، وتمكّنت قوات الحزب من دخول العاصمة من جنوبها، وقوات مسعود دخلت من شمالها، ودخل مع مسعود حلفاؤه الذين أشرنا إليهم في المقال السابق وهم: المليشيات الشيوعية، والرافضة الموالون لإيران، والإسماعيليون، وكان هؤلاء على موعد مع المليشيات الشيوعية... جناح عبد الرشيد دوستم. التي تسيطر على معظم أحياء كابل... ودارت معركة بين قوات الحزب وقوات مسعود وحلفائه، وأسفرت هذه المعركة عن خروج قوات الحزب من العاصمة، وأصبحت السيطرة في كابل لـمسعود وحلفائه، وانقسم الناس في موقفهم من الحكومة قسمين: قسم يطالب بتشكيل حكومة ائتلاف وطني، يشارك فيها الشيوعيون، والمجاهدون، وعملاء الغرب، والرافضة، والقبائل، والإسماعيليون، ويقف وراء دعاة حكومة الائتلاف: أمريكا وحلفاؤها في الشرق والغرب... وكان يتحدث باسم هذه الجهات المشبوهة مندوب الأمم المتحدة المقيم في كابل، ويربط مساعدات الأمم المتحدة بتشكيل مثل هذه الحكومة.

وقسم يطالب بتشكيل حكومة من جماعات الجهاد، وتتولى هذه الحكومة المؤقتة مهمة الإشراف على انتخابات عامة في البلاد. وكان الحزب الإسلامي يقود هذا التيار، أما الجمعية الإسلامية فكان موقفها غير واضح، وهناك تباين بين أقوال ومواقف مسعود وأقوال ومواقف رباني.

في هذا الوقت العصيب، وفي هذه الأجواء التي عمّت فيها الفوضى اتجهت الأنظار إلى "بيشاور" التي لا يزال قادة المجاهدين يتخذون منها مركزًا لأنشطتهم، وتساءل الناس: ما هو موقف القادة؟ هل يقبلون بحكومة ائتلاف وطني؟ ورمت باكستان بكل ثقلها لإقناع القادة لأنها أمريكية أكثر من أمريكا.

عقد القادة اجتماعًا مطوّلاً غاب عنه حكمتيار، ورفضوا بإصرار المشاركة بحكومة ائتلاف، ووقع اختيارهم على صبغة الله المجددي ليكون رئيسًا مؤقتًا لدولة أفغانستان، وحدّدوا رئاسته بشهرين، كما اتفقوا أن يتولى الرئاسة بعده برهان الدين رباني لمدة أربعة أشهر، ثم تجري انتخابات عامة... وهذا الاتفاق أرغم الأمم المتحدة على قبول حكومة المجاهدين،وصرف النظر عن مطالبتهم بعودة الملك المخلوع.

غادر قادة المجاهدين بيشاور بعد اتخاذهم قرارات حاسمة، ودخلوا كابل في موقف حاشد لم يغب عنه إلا حكمتيار الذي كان يرفض اتفاقهم، ويصرّ على تطهير العاصمة من المليشيات الشيوعية والباطنية، كما غاب عنه مجددي الذي كان قد تولى شؤون الحكم في كابل.

أسد أفغانستان

نعود إلى الحديث عن البطل الأسطوري أحمد شاه مسعود. لقد انقشع الزبد، وتكشّفت بطولته المزيفة، وما زعمته أجهزة الإعلام عن احتلاله لـمزار شريف غير صحيح، والصحيح أن المليشيات الشيوعية – جناح عبد الرشيد دوستم – والباطنية قامت بانقلاب على قوات نجيب الله، واتخذت من الجمعية ومن شاه مسعود بالذات غطاءً لتحركاتها الجديدة... وهذا التحالف الخطير هو الذي دخل العاصمة من شمالها، وهو الذي قاتل قوات الحزب الإسلامي وأخرجها من كابل؟

كيف قبلت الجمعية الإسلامية أن تكون غطاءً لقوات خبيثة كافرة...كيف يقف المسلمون والكفار والباطنيون في خندق واحد ضد قوات إسلامية تجاهد من أجل أن يكون الدين كله لله؟!ما الذي حدث؟

كيف تزعزعت المفاهيم واختلطت التصورات... كيف يجاهد المسلمون الأفغان الشيوعيين أربعة عشر عامًا ويقدّمون مليونًا ونصف المليون من الشهداء – إن شاء الله – ثم يدخل قادة الجهاد المدينة – كابل – تحت مظلة وحماية المليشيات الشيوعية والباطنية؟... هل كان الجهاد من أجل إسقاط نجيب الله، ولو كان الشيوعيون هم الذين أسقطوه؟!

كانت أجوبة أحمد شاه مسعود على الأسئلة آنفة الذكر متناقضةً، وكان من أهمها قوله: هذه المليشيات أطاحت بنجيب الله، وانضمت إلى كتائب الجمعية الإسلامية، ولو انضمت إلى كتائب الحزب الإسلامي لما أثار حكمتيار هذا

الضجيج، بل كانت له محاورات معها ولكنها رفضت حزبه، فالمسألة شخصية بين الجمعية والحزب. وكان مثل هذا القول يجد آذانًا صاغيةً بين قادة المجاهدين الذين كانوا يخشون من قوة بأس الحزب الإسلامي.

وكان من المنتظر أن يتشدّد حكمتيار في طلبه إخراج المليشيات من كابل، ولو فعل ذلك لوقف الجميع ضده، ومهما كانت قوته فلن يستطيع أن يحقق انتصارًا على مسعود وحلفائه المشبوهين وعلى جماعات الجهاد التي يحترمها المسلمون ويثقون بها.

ومن جهة أخرى فالمسلمون الأفغان وغير الأفغان سينقمون على من يعلن هذه الحرب لاسيما في الأيام القلائل التي تلت سقوط نجيب، وقبل أن تتضح الأمور.

غير أن هذه المحنة كشفت حنكة ودهاء حكمتيار. لقد رفض الخيار العسكري، وجلس قرب كابل يراقب الأحداث، ويتحدّث عن الحلول السياسية التي يراها، ومن هذه الحلول التي كان يذكرها باستمرار:

- إجراء انتخابات في عموم أفغانستان.
- وجوب إخراج ميليشيات "دوستم" من العاصمة الأفغانية، ويحذر من استمرار مرابطتها في أحياء كابل.
- كان يؤكد أنه لابد من تحكيم الإسلام بشكل كامل.

وفوق هذا وذاك كان يحذر من الخطر الإيراني، ومن تآمر الأمريكان، ويسمي الأمور بأسمائها الصحيحة.

أدرك القادة الأفغان صحة ما يدعو إليه حكمتيار، فهو لا يريد هيمنة الحزب الإسلامي، ولا يقبل حكم الرجل المستبد، أما المليشيات فقد عاثت فسادًا في شوارع وأحياء العاصمة، وكان من ضحاياها بعض القادة الميدانيين المتعاطفين مع أحمد شاه مسعود، وأصبحت كابل مثل بيروت، ولم يعد أحد يصدق قول مسعود: إن جميع القوات تأتمر بأمره.

ومما زاد الطين بلة.. أن مسعود بدعم من المجددي فتح أبواب العاصمة أمام مزيد من المليشيات الشيوعية - دوستم-، وأمام قوات أحزاب الرافضة التي تدعمها إيران بالمال وبأحدث أنواع الأسلحة، وساعدت هذه الفوضى المسؤولين الإيرانيين على دخول كابل وغيرها من المدن الأفغانية، وفتح عدد من القنصليات في أنحاء مختلفة من أفغانستان دون أخذ ترخيص بذلك من الجهات الرسمية.. .وهذه التجاوزات لا يمكن أن يسكت عنها قادة جماعات الجهاد الذين يعرفون مخططات الرافضة وأساليبهم، ويعرفون حقيقة موقفهم السلبي من الجهاد، وتعاونهم مع نجيب الله والطغمة الشيوعية.

كسب حكمتيار الجولة الأولى في معركته السياسية، وبدأ قادة المجاهدين يتوافدون عليه، وبعد كل لقاء يصدر بيان يحمل في ثناياه كثيرًا من الأفكار التي يدعو إليها رئيس الحزب الإسلامي... وأخيرًا نظّم القادة والوسطاء لقاءً بين رباني وحكمتيار، وكان ناجحًا ومشجّعًا، ومن الأمور التي اتفقوا عليها: خروج المليشيات من العاصمة، وإجراء انتخابات.

ونُقل عن حكمتيار أن رباني قال له: "ساعدني على حل مشكلتي مع مسعود"، وغير مستبعد ما قاله رباني لأن جهات كثيرة تشكك بولاء مسعود له وللجمعية الإسلامية.

وتُوّجت هذه اللقاءات باجتماع مهم بين مسعود وحكمتيار، وكانت نتائجه مشابهةً للنتائج التي اتفق عليها رباني وحكمتيار، وظن أنصار الجهاد الأفغاني أن الخلاف بين جماعات الجهاد قد انتهى إلى غير رجعة إن شاء الله. وقد أغاظ البيان الذي صدر عن مسعود ورباني: مجددي، ومليشيات دوستم، وأحزاب الرافضة، والإسماعيليين، وصدرت عنهم تصريحات تفضح نواياهم وتكشف خبثهم.

اختيار مجددي

كيف اختار المجاهدون صبغة الله المجددي ليكون أول رئيس مؤقت لأفغانستان؟!.. وهؤلاء الذين اختاروه يعرفون حماسته لعودة الملك المخلوع، ويعرفون أنه رجل الأمريكان والدول الغربية، وأنه لا يمثل نقاء الجهاد وتطلعات المجاهدين؟!

للإجابة على هذا السؤال لابد أن نعود سنوات قليلة إلى الوراء. كانت هناك دعوة إلى قيام اتحاد بين جماعات الجهاد، وكان قادة الجماعات التي يثق المسلمون بها يرفضون أي تحالف مع مجددي وكيلاني، وكانت الأسباب التي يبّررون بها رفضهم موضع اتفاق المجاهدين الأفغان، وأنصار الجهاد من غير الأفغان. وبعد اجتماع مغلق شارك فيه رئيس مخابرات باكستان وآخرون ممن هم على شاكلته أعلن ناطق رسمي أفغاني عن قيام هذا الاتحاد.

قلنا لهم: كيف وافقتم على هذا الاتحاد وأنتم تعرفون من هو مجددي ومن هو كيلاني؟!

قالوا: مارست أطراف أخرى الضغط علينا، وأرغمتنا على اتخاذ هذا الموقف.

قلنا: أما كنتم تتوقعون مثل هذا الضغط؟!

قالوا: ما كنا نتوقع أن يكون بمثل هذه القوة. ومضت الأيام، وصرنا نسمع أحد أشد القادة رفضًا للاتحاد مع مجددي يقول: لقد أخطأنا بحق مجددي،

وتأثرنا بالدعايات المغرضة ضده، وبعد التعامل معه وجدناه رجلاً تقيًّا ورعًا، ومن أهل العلم والخبرة.

وإذن لم يعد مجددي عميلاً للأمريكان ولا للشيطان عند هذا القائد، فكيف بنى قناعاته التي يوافقه عليها الثقات من الأفغان وغيرهم... وكيف نسف هذه القناعة التي لا يوافقه عليها إلا المعجبون به من أقطاب جماعته؟!

كان هذا القائد أول من رشّح في اجتماع بيشاور - مجددي ليكون رئيسًا مؤقتًا لدولة أفغانستان، وقال في دفاعه عن وجهة نظره: جماعة مجددي من أقل جماعات الجهاد عددًا وقوةً، وهو - أي مجددي - رجل نزيه وحيادي، وهو أفضل من الذين يهاجمونه لأنهم يريدون الحكم وتحقيق مصالح حزبية، وفضلاً عن هذا وذاك فاختياره يرضي الأمريكان والدول الغربية ولا يضرنا.

استلم مجددي مهام عمله في كابل، وخلال شهرين حقق ما يلي:

- أصدر عفوًا عامًا عن المسؤولين الأفغان الذين قاتلوا المجاهدين أربعة عشر عامًا، وكان في طليعتهم نجيب الله.

- أصدر أمرًا بترقية الجنرالات: دوستم وأصحابه، وأقام علاقات وثيقة معهم.

- أصدر أمراً بتعيين العدد الذي يطالب به الرافضة في الوزارة، ومما يجدر ذكره أن هذا العدد أضعاف الحجم الذي يستحقه الرافضة.

- فتح أبواب كابل أمام قوات الرافضة والإسماعيليين والشيوعيين.

- شن حملةً إعلاميةً شرسةً ضد حكمتيار ومن سماهم بالأصوليين، وأخذ يطمئن أعداء الإسلام داخل أفغانستان وخارجها بأن هؤلاء الأصوليين لن يصلوا إلى الحكم. وأخذ يناور من أجل نقض اتفاق بيشاور والاستمرار في الحكم زاعماً أن الشعب يريده.

- كان يسعى من أجل توحيد فصائل حزب الشيطان، وقطع مراحل خطيرة في هذا السبيل، ففي الداخل حاول أن يجمع ما بين المليشيات الشيوعية والباطنية وبين دعاة النظام الملكي وعملاء الغرب، والقبائل، وفي الخارج كان مدعومًا من الروس والأمريكان ومن إيران والدول الغربية.

وجد صاحبنا (أعني القائد الأفغاني الذي كان أول من رشّح مجددي للرئاسة) نفسه مضّطرًا لخوض معركة مع قوات الرافضة التي احتلت أحياءً في كابل وأصبحت تهدّد الأمن في العاصمة... وأدرك صاحبنا أن مجددي ليس تقيًّا ولا ورعًا فاستنكر القرارات التي اتخذها والمواقف التي وقفها، وكان مستعدًّا لخوض معارك من أجل الإطاحة بـمجددي لو رفض التنازل عن الحكم.

فكيف وقف صاحبنا هذه المواقف المتناقضة... وما هي المقاييس والضوابط التي اعتمد عليها عندما حكم على مجددي بالنفاق والخيانة... وكيف أصبح بين عشية وضحاها تقيًّا نقيًّا ورعًا، ولهذا رشّحه ليكون رئيسًا لأفغانستان... ثم عاد ليحكم عليه بالنفاق والخيانة؟!

والمشكلة أن صاحبنا من طلاب العلم، ويعرف الشروط التي يجب أن تتوفر في أهل الحل والعقد، ويعرف شخصية مجددي، كما أنه يعرف اتصالاته: يعرف صلاته

بالفرنسيين، والأمريكان، وباكستان، وإيران... ويعرف حرصه على تجميع وتوحيد صفوف الذين يناوئون قيام دولة إسلامية في أفغانستان. فهلا سأل صاحبنا نفسه لماذا تحمست أمريكا قبل سنوات من أجل إدخال مجددي في اتحاد المجاهدين؟!... وهلا سأل نفسه كيف يكون هذا الرجل المشبوه رئيسًا لدولة الجهاد والمجاهدين؟!.. وهل كان رسول الله ﷺ يقبل أن يكون أحد المنافقين أميرًا لسرية من السرايا واليًا لإحدى الولايات؟!

الخـــلاصـــة

– لقد خالف المجاهدون سنن الله في النصر عندما اختاروا مجددي رئيسًا لدولتهم.

– وخالفوا سنن الله في النصر عندما استمر النزاع والفرقة بينهم بعد سقوط نجيب الله وطغمته من الشيوعيين، ولم يتوحدوا، ويؤسسوا جيشًا واحدًا، وحكومةً واحدةً، ورئيسًا واحدًا لا يستبدل بغيره كل بضعة أشهر.

– وخالفوا سنن الله في النصر عندما قاتل مسعود وحلفاؤه من الشيوعيين والباطنيين الحزب الإسلامي، وخالفوا هذه السنن عندما أيد معظم القادة مسعود في البداية ولم يطالبوا بإخراج المليشيات من كابل.

– وخالفوا سنن الله في النصر عندما دخلوا العاصمة، وأبقوا كل شيء على ما كان عليه، وقبلوا رعاية دوستم لشؤون الأمن في العاصمة، وهي التي فعلت الأفاعيل بالإسلام والمسلمين أيام التسلط الشيوعي.

وماذا بعد هذا:

فرح المسلمون في كل مكان بلقاء مسعود مع حكمتيار، وفرحوا أيضًا بالتعاون والتنسيق الذي شهدته الساحة الأفغانية بين فصائل حزب الرحمن، وينتظر أصحاب الجهاد الأفغاني مزيدًا من التقارب والتعاون بين جماعات الجهاد الأفغاني.

وأقولها صريحةً لا أجد في القريب العاجل ما يبعث على التفاؤل، فهؤلاء الذين لم توحّدهم مخاطر ومصائب استمرت أربعة عشر عامًا لا أتوقع أن يتوحّدوا الآن بعد أن جاء دور توزيع الغنائم، ومسعود كان مضطرًا للاجتماع مع حكمتيار لأن الأخير ربح المعركة السياسية الأولى ولكن القرارات التي اتفقوا عليها بقيت حبرًا على ورق، ولم يبادر على إخراج المليشيات الشيوعية من كابل كما وعد رغم مرور مدة كافية، ورغم استمرار عبث هذه المليشيات وإفسادها، وعلى نقيض ذلك فهناك مؤشرات على وجود اتفاق سري بين مسعود ومليشيات دوستم:

منها: وقوف هذه المليشيات على الحياد عند منع مسعود لمجددي من دخول قصر الرئاسة.

ومنها: وقوف هذه المليشيات على الحياد عندما وقع قتال بين فصائل الجهاد ومليشيات الرافضة، ثم بين مسعود والرافضة.

فلوا كانت هذه المليشيات – دوستم – تتوقع شرًّا من مسعود لتحالفت مع مجددي والرافضة ضده، ولكنهم مطمئنون، وقد تحدث حكمتيار عن هذا الاطمئنان بين الطرفين: مسعود ودوستم، وهدّد بأنه سيتخذ موقفًا مناسبًا إذا استمرت حماية مسعود لهذه المليشيات، والذي أخشاه أن يصبح مسعود مثل أتاتورك، وأن يأتي يوم يُمنع فيه رباني من دخول قصر الرئاسة كما فعل مع مجددي.

الفهـــرس

المقدمة ٣

المبحث الأول: غزوة أُحُد

الوضع العام قبل غزوة أُحُد ٦

سير المعركة ١١

من أخبار المعركة ١٦

أهمية الشورى ١٧

عودة إلى الحديث عن أخبار المعركة ١٨

بطولات نادرة ٢٢

آيات قرآنية تتحد عن غزوة أُحُد ٢٧

المبحث الثاني: قل هو من عند أنفسكم

قل هو من عند أنفسكم ٣٥

سنن الله في خلقه ٤١

سنن الله في النصر ٥٣

أولاً: الله هو الناصر ٥٣

ثانيًا: الإعداد ٥٨

ثالثًا: العلم ٦١

رابعًا: الوحدة والائتلاف ٦٢

خامسًا: الهدف ٦٤

بين قناعتين ٦٨

المبحث الثالث: جهاد المسلمين الأفغان كمثال تطبيقي

جهاد المسلمين الأفغان كمثال تطبيقي ٧٥

القيادة الميدانية ٨٦
أفغانستان بعد سقوط نجيب الله ٩٤
أسد أفغانستان ٩٩
اختيار مجددي ١٠٣
الخلاصة ١٠٧